السيدة سكينة

ابنة الإمام الشهيد أبي عبد الله الحسين عليه السلام

السيد عبد الرزاق المقرم

دار الأضواء

السيدة سكينة

ابنة الإمام الشهيد أبي عبد الله الحسين عليه السلام

Books.Rafed.net

جَمِيعُ الحُقوق محفُوظة

الطّبعَة الأولى

١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

دار الأضواء
للطباعة والنشر والتوزيع
ت : ٢٧٠٨٧٣ - ٢٧١٧٨٨ - ف : ٢٧١٦٨٥
ص.ب : ٢٥/٤٠ غبيري - بيروت - لبنان

Books.Rafed.net

السيد عبد الرزاق المقرم

السيدة سكينة

ابنة الإمام الشهيد أبي عبد الله الحسين عليه السلام

دار الأضواء
بيروت - لبنان

Books.Rafed.net

Books.Rafed.net

بسم الله الرحمن الرحيم

دأبت دار الأضواء منذ تأسيسها عام ١٩٨٠ على نشر التراث الإسلامي فكراً وعقيدةً وتاريخاً، فقدمت سلسلة من الكتب والموسوعات القيّمة في هذا المجال، ويأتي كتاب «**السيدة سكينة**» ضمن هذه السلسلة التزاماً من الدار بنهجها السامي لخدمة هذا التراث وشخوصه، آملين توفيقه سبحانه وتعالى لما يحب ويرضى.

غرة ذي الحجة ١٤١٩

آذار ١٩٩٩

جعفر الدجيلي

Books.Rafed.net

Books.Rafed.net

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم * ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة * وما لهم به من علم إن يتبعون إلا الظن * ذلك مبلغهم من العلم * فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين﴾ .

(القرآن الكريم)

Books.Rafed.net

Books.Rafed.net

المدخل

ذرية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم:

عترة المصطفى (ص) هم عنصر الشرف وآصرة كل فضيلة رابية وقد ثبتت لهم الرفعة والجلالة بانتمائهم إلى المنبت الزاكي والشجرة الطيبة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء ، ولا تنكر جهود أبيهم الأقدس ومساعيه الجبارة في انتشال الأمة إلى ساحل النجاة والسعادة ، على حين كانت تترامى بهم أمواج الضلال وتلتطم بهم الفتن وهم لا ينقذون من هوة الهوان إلا ويسفون إلى أعمق منها ، وكانوا يرسفون في أسر مهانة مخزية بين أصنام منحوتة ونواميس مهتوكة ودماء مهدورة وغارات متواصلة وعادات خرافية وبنات موءودة إلى أمثالها مما يقهقر سير الإنسانية ويعرقل مسعى البشر عما فيه الخير والصلاح .

فباغتهم (نبي الإسلام) بتعاليمه الناصعة وطقوسه الراقية فأسس لهم بها كياناً خالداً وعزاً باقياً ودولة مرعية الجانب خضعت لها الدول ودانت لها الأمم وبطل مسعى الإلحاد ، وأعلن في أنحاء المعمورة دين التوحيد والسلام والوئام .

لم يزالوا في مركز الجهل حتى ... بعث الله للورى أزكاها
فأتى كامل الطبيعة شمساً ... تستمد الشموس منه سناها
طربت لاسمه الثرى فاستطالت ... فوق علوية السما سفلاها

Books.Rafed.net

ثم أثنت عليـــه إنس وجنّ وعلى مـــثله يحق ثناها
وإلى طبـــه الإلـــهي باتت علل الدهر تشـــتكي بلواها
كيف لا تشتكي الليالي إليه ضرها وهو منتهى شكواها[1]

إذاً فمن واجب شكره تعظيم ذريته الطاهرة (فإن المرء يحفظ في ولده) على أن أولئك النفر البيض دعاة إلى مبدأ الحق سبحانه المهيمن على البشر بوجودهم ، دعاة إليه بألسنتهم ، دعاة بأقلامهم ، دعاة بنظمهم ونثرهم ، دعاة بخطبهم ، دعاة بفواضلهم وفضائلهم ، دعاة بأخلاقهم وأعمالهم ، وإذا فات البعض منهم بعض الفواضل والدعوات فلا يفقد الآخر مجموعها فأي أحد من الأمة يلتفت إلى أن المشرف لهم هو نبي الرحمة المنتشل للبشر من مهاوي السقوط والضعة فلا يذعن بأن الواجب في شريعة الحفاظ الخضوع لذريته كرامة لذلك الجذم الأقدس والشجرة الطيبة التي أظلت العالم بفيئها الوارف .

ومن ذا الذي يجد في آحاد منهم ما يتناسب مع منبتهم الكريم من الخلق الطيب فلا يعتقد أن هذا مما عرقه فيهم ذلك المنقذ الأكبر (ص) ولا يروقه إلا التحلي بما استحسنه منهم ، وأما الذين حصلوا على أصلهم الطاهر بشيء من دعوة اللسان والسنان فغناؤهم أوفر ، واستفادة الأمة بهم أكثر .

---

(١) من قصيدة ملا محمد كاظم الأزري البغدادي التميمي ، المولود في بغداد سنة ١١٤٣ ، والمتوفى ببغداد غرة جمادى الأولى سنة ١٢١١هـ ، تبلغ ألف بيت من غرر الشعر تضمنت كرامات النبي (ص) ومغازيه ومواقف الوصي علي (ع) ، فيها طبعت مع تخميسها للشيخ جابر الكاظمي في النجف المطبعة الحيدرية .

Books.Rafed.net

فهم على كل حال أدلاء على الخير ومسالك النجاة يحملون فضيلة الشرف والسؤدد ،فضيلة الدعوة إلى السلام والوئام ، فضيلة الإصلاح والرشاد ، وليس لسائر الأمة إلا الإحسان إلى ذرية الرسول والمودة لهم التي هي أجر الرسالة بنص الكتاب العزيز .

﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى﴾[1] .

والقربى هنا بمعنى الأقارب قطعاً ، وليس المراد منه قرب النبي من قريش ولا تقرب الأمة إلى الله تعالى بالطاعة ، لأن الأول يصح استعماله[2] أولاً وهو المتبادر إلى الفهم من الإطلاق ثانياً ، وأما المعنيان الآخران فتحتاج إرادتهما من الإطلاق إلى قرينة وهي مفقودة .

على أن الأخبار المتواترة دلت على أن قرابته المعنيين بالآية هم : علي وفاطمة والحسن والحسين (ع)[3] وذريتهم ، وقد استشهد عليه الأئمة المعصومون فيقول سيد الوصيين (ع) : فينا آية في حمّ لا يحفظ مودتنا إلا كل مؤمن ، ثم قرأ آية المودة . ويوم خطب الحسن (ع) بعد وفاة أبيه قال : أنا من أهل البيت الذين افترض الله مودتهم ، ثم قرأ آية المودة[4] . ولما وقف الإمام السجاد (ع) مع حرم النبوة على درج مسجد الشام ، قال له شامي : الحمد لله الذي استأصلكم ، فقال (ع) : أما قرأت **﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلا**

---

(١) سورة الشورى ، الآية ٢٣ : مدنية .
(٢) أساس البلاغة للزمخشري .
(٣) نص على بعض هذه الأخبار الزمخشري في الكشاف : «ج٣ ، ص٤٠٢» ، في تفسير الآية ، والرازي في تفسيره : ج٧ ، ص ٣٩٠ ، ومجمع الزوائد : ج٧ ، ص١٠٣ .
(٤) الصواعق المحرقة ص : ١٠١ الآية الرابعة عشر .

Books.Rafed.net

المودة في القربى﴾ قال الشامي : نعم وأنتم هم؟ فقال الإمام (ع) : نعم ، فبكى واستغفر[1] .

فدل هذا على معروفية المعنى المتبادر من لفظ القربى بين الناس في ذلك الزمن القريب من عهد النزول ، ولو كان لغير هذا المعنى نصيب من الواقع لما صدر من المعصومين الاستشهاد بالآية على كونها فيهم ،ولما سكت من سمع الخطاب عن النقاش .

وفي هذا يقول محيي الدين بن عربي :

رأيت ولائي آل طه فريضة ... على رغم أهل البعد يورثني القربى
فما طلب المبعوث أجراً على الهدى ... بتبليغه إلا المودة في القربى[2]

وحينئذ فلا موقع للإشكال على الآية بأنَّ طلب النَّبي الأجر على تبليغ الوحي لا يليق بمقام الأنبياء ، مع أنهم صارحوا بنفي الأجرة على التبليغ ففي الحكاية عن نوح (ع) **﴿فما سألتكم عليه من أجر إن أجري إلا على الله﴾**[3] وعن هود وصالح ولوط وشعيب[4] (ع) **﴿ما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين﴾** وفي الحكاية عن نبينا الأعظم (ص) : **﴿قل ما سألتكم من أجر فهو لكم إن أجري إلا على الله﴾**[5] وقوله : **﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إن هو إلا ذكرى للعالمين﴾**[6] .

---

(١) تفسير روح المعاني للألوسي : ج٢٥ ، ص٣١ ، والصواعق المحرقة : ص١٠١ ، ومقتل الخوارزمي : ج٢ ، ص٦١ ، وتفسير ابن كثير : ج٤ ، ص١١٢ .
(٢) شرح الزرقاني على المواهب اللدينة : ج٧ ، ص٩ ، والصواعق المحرقة : ص١٠١ .
(٣) سورة يونس ، الآية ٧٢ .
(٤) سورة الشعراء ، الآيات ١٠٩ و١٢٧ و١٤٥ و١٦٤ و١٨٠ .
(٥) سورة سبأ ، الآية ٤٧ .
(٦) سورة الأنعام ، الآية٩٠ .

Books.Rafed.net

فإن التدبر في هذه الآيات الشريفة يفيدنا عدم المنافاة بينها وبين آية المودة لأن الأجر المنفي في هذه الآيات هو المال ، والأنبياء أرقى من أن يأخذوا المال على تبليغ الدعوة الإلهية مع ما فيه من المشقة على البأس التي أشار الكتاب العزيز إلى ثقلها على الطباع فقال تعالى : ﴿ **أم تسألهم أجراً فهم من مغرم مثقلون**﴾[1] وقال : ﴿**أم تسألهم خرجاً فخراج ربك خير وهو خير الرازقين**﴾[2] .

والأجر المطلوب في آية المودة لم يكن من سنخ المال حتى يثقل على الطباع البشرية تحمله ، لأن المقصود منه موالاة آل الرسول وهذا من سنخ الدعوة الإلهية فيليق بمقام النبوة الدعوة إليه والتعريف به ومن المناسب جداً لرسول المشرع الأقدس إعلام الأمة بما تستفيد منه السعادة الخالدة والزلفى إلى المهيمن سبحانه .

فإذاً يكون طلب النبي (ص) من أمته مودة آله الأقربين لطفاً منه وحناناً عليهم لإنارته لهم سبيل الخير ، وتعريفهم بالطريق اللاحب وهكذا المصلحون يتحرون بمن يريدون إصلاحهم كل وسيلة تأخذ بهم إلى أسمى الغايات .

على أن المحبة لآل الرسول تستوجب مودة النبي (ص) المستلزمة لمحبة الله تعالى وطاعته كما جاء في المأثور عنه (ص) «أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وأحبوني لحب الله وأحبوا أهل بيتي لحبي»[3] وإني أخاصمكم عنهم غداً ومن أكن خصيمه خصمه الله

---

(١) سورة الطور ، الآية ٤٠ .

(٢) سورة المؤمنون ، الآية ٧٢ .

(٣) مستدرك الحاكم على صحيح البخاري ومسلم ، ولم يتعقبه الذهبي «ج٣ ، ص١٥٠» .

Books.Rafed.net

ومن خصمه الله أدخله النار[1] .

وبهذه العناية يكون المعنى الثالث للفظ القربى في آية المودة وهو تقرب الأمة إلى الله تعالى بالطاعة لازماً لمودة أهل البيت لكونها محبوبة للرسول ومحبوبة لله سبحانه ، وهذا عين الطاعة إليه جل شأنه .

فالرسول الأعظم لم يسأل الأمة مالاً عوض تحمله المشاق في سبيل هدايتهم وإنقاذهم من مخالب الضلال والعمى ، والإرشاد إلى ما فيه حياتهم وجمع شملهم حتى يشكل عليه بعدم المناسبة لمقام النبوة والرسالة ، وإنما طلب منهم ما يعود نفعه إليهم ، وبه يستوجبون شمول العطف الإلٰهي ألا وهو مودة أهل بيته وقرباه وهم : (علي وفاطمة والحسن والحسين وذريتهم) وتفسير القربى بأهل البيت رواه الألوسي عن زاذان عن علي (ع) قال وإليه يشير الكميت الأسدي :

وجدنا لكم في آل حم آية تأولها منا تقيّ ومعرب

ولله در السيد عمر الهيتي أحد الأقارب المعاصرين حيث يقول :

بأية آية يأتي يزيد غداة صحائف الأعمال تتلى
وقام رسول رب العرش يتلو وقد صمت جميع الخلق قل لا[2]

وأي أحد يتخيل طلب النبي (ص) من الأمة التعويض بالمال عن تلك المتاعب التي لم يلاقها نبي غيره ولم يؤذ في سبيل نشر

---

(١) إسعاف الراغبين بهامش نور الأبصار ص ١١٤ ، عن ابن سعد .
(٢) تفسير روح المعاني ج٢٥ ص٣١ ، آية المودة .

Books.Rafed.net

دعوته أحد من الأنبياء كما أوذي نبي الإسلام[1] .

وهل يقابل ذلك الخطر الإلٰهي بهذا العرض الزائل المتخلي عنه (صفي الله وحبيبه (ص) وقد عرضت عليه كنوز الأرض بأجمعها فآثر الأخرى الباقية على ما فيه الفناء ، حتى كان يبيت الأيام طاوياً ويشد الحجر على بطنه من الجوع ويسميه المشبع[2] فالرسول الأقدس في سيره وأعماله لا يدعو إلا إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة .

فآية المودة لا تنافي سيرة الأنبياء ولا سيرة نبينا الأعظم (ص) ولا يعارضها ما في سورة سبأ/ ٤٧ ﴿**قل ما سألتكم**﴾ إلخ ولا ما في الأنعام/ ٩٠ ﴿**قل لا أسألكم**﴾ الآية ؛ لأن الأجر المنفي في هاتين الآيتين المال الذي يشق على الناس بذله ويتنزه عنه مقام من كان من ربه كقاب قوسين أو أدنى والمطلوب في آية المودة لم يكن مالاً وإنما هو محبة آله ، وهذا من سنخ العبادة والطاعة ، ومثل المنقذ الأكبر يعرف الأمة ما فيه صلاحها ويرشدها إلى ما يقربها من المولى سبحانه زلفى .

ولعل الآية في سورة سبأ ﴿**قل ما سألتكم من أجر فهو لكم**﴾ تصاعد عليه فإن ظاهرها كالتمهيد للجواب عن مثل هذا الاشكال فإن معنى الآية إن ما يطلبه الرسول من الأجر إنما يعود نفعه إلى الأمة ، فالأجر الذي أراده من آية المودة ، وهو مودة أهل بيته معه

---

(١) غرر الخصائص للوطواط ص ٢٥ في باب من قدر فعفا ، وشرح الزرقاني على المواهب ج٤ ص٣٢١ ، وكنز العمال ج٢ ص٢٩ باب الحلم .
(٢) شرح الصحيفة الكاملة للسيد علي خان .

Books.Rafed.net

لهم خاصة وحينئذ فيتفق هذا مع قوله تعالى : ﴿**لا أسألكم عليه أجراً إن هو إلا ذكرى للعالمين**﴾ لأن مودة آله وذريته ذكرى للعالمين ورحمة لهم لما فيها من احترام شخص النبيّ وتقدير أعماله الجبارة .

وما جاء في هذه الآية من طلب مودة القربى لا يتنافى مع ما في الفرقان/ ٥٧ ﴿**قل ما أسألكم عليه من أجر إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا**﴾[1] ، فإن الهداية إلى الله تعالى التي هي المطلوب السامي لنبي الإسلام عوضاً عن التبليغ ، والإرشاد يتفق مع مودة القربى المراد لرسول الله (ص) في آية الشورى فإن مودة آله من مصاديق الهداية إلى المهيمن سبحانه بامتثال أوامره واجتناب معاصيه والقيام بما يقرب منه عز شأنه زلفى فلا ندحة له من مودة قربى النبي لأن الله تعالى حث على حبهم واقتفاء آثارهم .

ولو أعرضنا عن جميع ذلك لا تكون الآيتان المنفي فيهما الأجر معارضتين لآية المودة ، لأنهما مكيتان وآية المودة مدنية نازلة بعدهما والمدني لا يعارضه المكي بوجه .

ودعوة ابن تيمية عدم الريب في كون آية المودة مكية ، لأنها من سورة الشورى التي هي كباقي الحواميم مكية ، وحينئذ فأين تزويج علي من فاطمة ،وأين أولادهما[2]؟ تدلنا على عدم اطلاعه على كلمات المفسرين أو أنه غض النظر ، عنها فإنه لم يصرح أحد بأن الآية مكية ، وكأنه تخيل من إطلاق قولهم الشورى مكية أنها بتمام آياتها وهذا غير لازم ، فإن جملة من الآيات المكية في السور المدنية

---

(١) سورة الفرقان ، الآية ٥٧ .

(٢) منهاج السنة «ج٢ ـ ص١١٨ ، وص٢٥٠» .

Books.Rafed.net

وبالعكس لأن تأليف القرآن لم يكن على حسب النزول[1] ، ويحكي الزرقاني عن تفسير ابن عطية أن الآية مدنية ، وحديث ابن عباس ينص على أن المراد من القرابة فيها علي وفاطمة وأبناؤهما[2] .

ثم لو فرضنا عدم نزول (آية المودة) في أهل البيت لأفادنا ما ورد من محبوبية الإحسان إليهم والعطف عليهم وإيتاء المعروف لهم وقضاء حوائجهم والسعي في أمورهم : تأكده في ذرية رسول الله (ص) لكونه مشرفهم ومودع الفضل فيهم وهو أصل هذه الدوحة الميمونة ووصاياه في حقهم متواترة لا تبقي ريباً وتشكيكاً لمن يتطلب النص بالخصوص ، وقد جاء عنه (ص) : «لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من عترته ، وأهلي أحب إليه من أهله ، وذاتي أحب إليه من ذاته . وإن لله حرمات ثلاث من حفظهن حفظ الله دينه ودنياه : حرمة الإسلام ، وحرمتي ، وحرمة رحمي[3]» .

فمقارنة حرمة أهل بيته بحرمة شخص النبوة الواجب على الأمة مراعاتها وأن التقصير فيها يستوجب سخط الرب جل شأنه دليل واضح على امتياز الذرية على سائر المسلمين لحصولهم على هذا العنوان ، أعني كونهم ذرية الرسول مطلقاً سواء كانوا سائرين على منهاج مشرفهم الأعظم أو متأخرين عنه ، نعم الحب لمن هو متبع لقوانين جدهم الأكرم يكون آكد ، وحيث يكون التقصير بأداء حق الذرية والحط من كرامتهم مستوجباً للوهن بمقام النبي (ص)

---

(١) ذكر حجة الإسلام المحقق ميرزا عبد الحسين الأميني في كتاب الغدير «ج١ ص٢٣٣» تفصيل السور المكية وفيها آيات مدنية وبالعكس .
(٢) شرح المواهب اللدنية ج٧ ص٣ .
(٣) الصواعق المحرقة ص ١٣٧ و١٣٩ .

Books.Rafed.net

استحق البعد من الله تعالى كل من أعرض عن إكرام الذرية .

ومن هنا جاء تحذيره (ص) : «من احتقرهم فهو ملعون أذهب الله عنه السمع والبصر[1]» .

وليس المراد منه فقد هاتين الحاستين لما يشاهد بالوجدان خلافه بل المراد منه عدم التوفيق لاستماع أو إبصار ما يقرب إلى الخير ويبعد عن درك العقاب على حد قوله تعالى : ﴿**لهم آذان لا يسمعون بها ولهم أعين لا يبصرون بها**﴾ ، وهذا هو المراد من قوله (ص) (ملعون) فإن اللعن ليس إلا الطرد والبعد عن الرحمات الإلٰهية والفيوضات الربوبية ، فلا تهطل سحائب الرحمة على من احتقر الذرية؟ وأشار إلى هذا قوله (ص) : «عليكم بحب أولادي فإنه يدخل الجنة لا محالة وبغضهم يدخل النار»[2] .

وهذه الكلمات الذهبية من نبي الرحمة تلقي على الأمة ضوءاً تبصر منه المكانة السامية لذريته الصالحة ، وأما من كان بظاهره حائداً عن قانون الشرع فيكون الإحسان إليه من باب تكريم صاحب الدعوة الإلٰهية لكون الإهانة إليه تستلزم التوهين بمقام الرسول .

وإليه يشير النبي (ص) : «أكرموا أولادي الصالحين لله تعالى والطالحين لي[3]» ، ولما لمح النبي العجب ممن سمع خطابه في إكرام الطالح منهم ، قال مرشداً له : أليس الولد العاق يلحق بالنسب[4] .

---

(١) فضائل السادات ص ٣٨٩ .
(٢) جامع الأخبار .
(٣) جامع السعادات ص ٣١٤ أيوان أول .
(٤) فضائل السادات ص٣٧٣ .

Books.Rafed.net

على أن الرسول الأعظم سأل الله سبحانه أن يثبت القائم بالحق من أهل بيته ويهدي ضالهم ويعلم جاهلهم ويجعلهم رحماء نجباء ويهب مسيئهم لمحسنهم ويهبهم له فأجاب الله تعالى سؤاله[1] وأكرمه بتوفيق ذرّيته للفوز الأكبر وهو الممات على ولاية الأئمة المعصومين والتوبة عما اقترفوه من الآثام ، ولو في آخر ساعة من أيامهم ، كما يفصح عنه قول الإمام الصادق (ع) لا يخرج أحدنا من الدنيا حتى يقر لكل ذي فضل فضله[2] ، وفي آخر عنه (ص) : ليس لكم أن تدخلوا فيما بيننا إلا بسبيل خير إنه لم تمت نفس منا إلا وتدركها السعادة قبل أن تخرج نفسه ولو بفواق ناقة[3] .

ومما يفيدنا وضوحاً في هذا الحكم الذي لا يرتاب فيه من يبصر الحقائق بعين صحيحة ما احتفظ به من وصايا المعصومين بإكرام ذريتهم ومن ينتسب إليهم نذكر بعضاً منها كمثل يتعرف منه مكانة الذرية .

١ ـ حدث عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعي[4]

---

(١) ذخائر العقبى ص١٥ .

(٢) الخرائج في الباب ٦ .

(٣) مرآة العقول ج١ ـ ٢٦٢ عن الصدوق .

(٤) قال ابن خلكان بترجمة عبيد الله : كان عبيد الله شاعراً كاتباً تولى شرطة بغداد عن أخيه محمد ، وبعد وفاته استقل بها وإليه انتهت رياسة آل طاهر وهو آخر من مات منهم رئيساً توفي سنة ٤٠٠ وله ٧٧ سنة ودفن بمقابر قريش ، ولقب جده طاهر بذي اليمينين لأنه ضرب بيساره شخصاً في واقعته مع علي بن ماهان فقده نصفين ، فقال بعض الشعراء : (كلتا يديه يمين حين يضربه) فلقبه المأمون بذلك . تولى على خراسان من قبل المأمون وكان معه غلام وهبه المأمون له فأمر الغلام أن يسمه ففعل الغلام وأصبح ميتاً لخمس بقين من جمادى الثانية سنة ٢٠٧ بمرو ، ومات والده الحسين =

Books.Rafed.net

انه دخل على أخيه محمد سحراً بعد مدة من قتله ليحيى بن عمر العلوي فرآه مطرقاً برأسه مهموماً حزيناً كأنه عرض على السيف وجواريه لا يتجاسرن على مسألته وأخته واقفة فسألها قالت : رؤيا هالته فقلت له : أيها الأمير روي عن النبي (ص) أنه قال : إذا رأى أحدكم ما يكره في منامه فليتحول من جانبه إلى الآخر وليقل ثلاثاً أستغفر الله ويلعن إبليساً ويستعيذ بالله ثم ينام .

فرفع إلي رأسه وقال : يا أخي كيف إذا كانت الطامة من جهة رسول الله (ص) ، ثم قال لي : ألست ذاكراً رؤيا طاهر وهو صغير للنبي في منامه وهو يقول له : يا طاهر إنك ستبلغ من الدنيا أمراً عظيماً فاتق الله واحفظني في ولدي فإنك لا تزال محفوظاً ما حفظتني في ولدي .

فما تعرض طاهر لقتال علوي قط وندب إلى ذلك غير دفعه ثم قال محمد : يا أخي إني رأيت البارحة رسول الله (ص) في منامي وهو يقول : يا محمد نكثتم؟ فانتبهت فزعاً وتحولت واستغفرت الله وتعوذت من إبليس ولعنته ونمت فرأيت رسول الله (ص) الثانية وهو يقول : يا محمد نكثتم؟ . ففعلت كما فعلت في الأولى ونمت فرأيته (ص) الثالثة وهو يقول :

نكثتم وقتلتم أولادي والله لا تفلحون بعدها أبداً .

فانتبهت وأنا على هذا الحال منذ نصف الليل ما نمت واندفع يبكي وبكيت معه ، فما مضت على ذلك إلا مدة يسيرة حتى مات

= بخراسان سنة ١٩٩ ، وكان جده مصعب بليغاً أديباً كتب لسليمان بن كثير الخزاعي صاحب دعوة بني العباس ، وتولى هراة ، وبوشنج بلدة تبعد عن هراة سبع فراسخ .

Books.Rafed.net

محمد ونكبنا بأسرنا أقبح نكبة وصرفنا عن ولايتنا ، ولم يزل أمرنا يخمل حتى لم يبق لنا اسم على منبر ولا علم في جيش ولا إمارة وصرنا إلى الآن تحت المحن[1] .

وبعد قتل يحيى جلس محمد بن عبد الله يهنأ بقتله وجماعة الهاشميين والطالبيين حضور ، وسمعهم أبو هاشم الجعفري يهنئونه فقال : أيها الأمير إنك لتهنأ بقتل رجل لو كان رسول الله (ص) حياً لكان هو المعزى به فما رد عليه محمد شيئاً ثم خرج أبو هاشم يقول[2] :

يا بني طاهر كلوه وبيّـــاً[3] إن لحم النبيّ غـــير مـــريٍّ
إن وتراً يكون طالبـــــه الله لو تر نجـــاحـــه بالحـــريّ[4]

ويحيى هو ابن عمر بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي ابن الحسين بن علي بن أبي طالب (ع) وأمه أم الحسين فاطمة بنت الحسين ابن عبد الله بن إسماعيل بن عبد الله بن جعفر الطيار[5] .

كان يحيى ورعاً ديناً كثير البر والمعروف واصلاً لأهل بيته مؤثراً لهم على نفسه عطوفاً على الطالبيات لم تظهر منه زلة ولذا جزعت

---

(١) نشوار المحاضرة للقاضي التنوخي ج١ ـ ص٢٢٣ .
(٢) الطبـري ج١١ ـ ص٩٠ ، وابن الأثيـر ج٧ ـ ص٤١ ، والبـداية ج١١ ـ ص٥ ، وفي عمدة الطالب أنها من أبيات .
(٣) في عمدة الطالب ص ٢٦٤ نجف «مريئاً» .
(٤) في عمدة الطالب ومروج الذهب ج٢ ـ ص٤١٠ . «بالفوت غير حري» .
(٥) الطبري وابن الأثير والبداية ومقاتل أبي الفرج ووهم المسعودي حيث نسبه إلى إسماعيل بن عبد الله بن جعفر لأن هذا نسب أمه .

Books.Rafed.net

عليه النفوس ورثاه القريب والبعيد[1] خرج بالكوفة ليلة الاثنين لثلاث عشرة خلت من رجب سنة ٢٥٠ أيام المستعين ، وكانت الوقعة في ظهر خندق الكوفة حمل رأسه إلى محمد بن عبد الله بن طاهر فطلب من يقوره فلم يقدم عليه أحد ، حتى من كان في السجن من الذباحين إلا رجل من عمال (السجن الجديد) فإنه صنع فيه كما أراد محمد وأرسله إلى سامراء فنصبه إبراهيم بن إسحاق الديزج على باب العامة لحظة وأنزله لكثرة إنكار العامة وأرجعه إلى محمد فلم يقدر أن ينصبه على الجسر لتجمع الناس وإنكارهم فخبأه في بيت السلاح في داره .

٢ ـ حدث أحمد بن إسحاق القميّ وكان وكيلاً بقمّ عن أبي الحسن علي الهادي وأبي محمد الحسن العسكري (ع) : أن الحسين ابن الحسن بن جعفر بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق (ع) كان «بقم» يشرب الخمر علانية فاعترته نائبة فقصد بها أحمد بن إسحاق فلم يأذن له فرجع إلى أهله مهموماً منكسراً ولما توجه أحمد ابن إسحاق إلى الحج وبلغ سر من رأى استأذن على أبي محمد العسكري (ع) فلم يأذن له فكبر عليه ، وداخله هم شديد ولم يعلم السبب في ذلك حتى تضرع إليه طويلاً فأذن له وسأله عما أوجب إعراضه؟ فعرفه الإمام (ع) أن السبب منعه العلوي من الدخول عليه وقد قصده لأمر أهمه فقال ابن إسحاق : لم يكن المنع إلا لأجل أن يتوب عما عليه من المآثم ، فقال الإمام (ع) : صدقت ولكن لا بد من إكرامهم لانتسابهم إلينا فلا تكن يا ابن اسحاق من الخاسرين بالإعراض عمن انتسب إلينا .

---

(١) مروج الذهب ج٣ ـ ص٤١٠ .

Books.Rafed.net

ولم يتباعد ابن اسحاق عن نصح الإمام الواقف على الأسرار العارف بمقتضيات الأحوال علماً منه بأن (إمام الحق) لا يدعو إلا إلى حكمة بالغة أو حقيقة راهنة فاحتفظ بهذه الوصية الثمينة حتى إذا رجع من الحج إلى مدينة قم زاره ذلك العلوي فيمن أتاه من الناس فأظهر له ابن اسحاق أمام الحاضرين من التبجيل والاحترام ما أبهره وعجب منه الحاضرين .

فسأله العلوي عن هذا الحال الغريب مع ما شاهده منه من ذي قبل فذكر له ما جرى من الإمام العسكري (ع) معه .

فبكى العلوي وتاب عما كان عليه وصار من المتورعين المتخذين أقوال آبائه الهداة طريقاً مهيعاً في كل أعماله حتى فاجأه الموت ودفن بقم قريباً من مشهد السيدة الطاهرة (فاطمة) بنت الإمام الكاظم[1] .

٣ ـ حدث الوزير علي بن عيسى[2] أن علوياً من أولاد موسى ابن جعفر (ع) كان يأتيه في شهر رمضان فيعطيه خمسة آلاف درهم مؤنة له ولعياله وهذه حاله مع العلويين في هذا الشهر المبارك فاتفق أنه رأى ذلك العلوي في الشتاء سكراناً فندم على ما كان منه معه وعزم على حرمانه ، ولما دخل شهر رمضان أتاه العلوي على عادته

---

(١)فضائل السادات ص : ٣٦٢ عن تاريخ قم .

(٢) علي بن عيسى بن داود الجراح في شذرات الذهب ج٢ ص٣٣٢ وزر مرات للمقتدر والقاهر وكان محدثاً ديناً خيراً كبير الشأن عاش تسعين سنة توفي ببغداد سنة ٣٩١ ودفن في داره ، ترجمته في معجم الأدباء ج١٤ ص٦٨ ، والمنتظم لابن الجوزي ج٧ ص٢١٨ سنة ٣٩١ ، والبداية لابن كثير ج١١ ص٣٣٠ .

Books.Rafed.net

فـزبره ومنعـه وفي تلك الـليلة رأى الوزير النبي (ص) مـقـبـلاً على الناس وقـد أعـرض عنه فقـال للنبي (ص) أتـعرض عني مع إحـساني لأولادك وبري بهم ، فقال له رسـول الله (ص) : إنك قطعت جائزتك عن ولدي فلان فـأخـبره بأنه لم يقطع عـنه الجـائزة إلا لأجل أن يقلع عن الآثـام ، فـأجـابه النبي : إنك أكـرمـتـه لأجله أو لأجلي؟ قـال : لأجلك يا رسـول الله ، فـقال الـنبي : هلا سترت عليه لأجلي؟ قـال : الوزير حباً وكرامة .

ولما أصـبح حـمـل إلى العلوي عشـرة آلاف درهم وطيب خـاطره وقال : إن أعوزك شيء عرفني .

فأبى العـلوي أن يأخذ المال حتى يعرف السبب الـذي دعاه إلى هذا مع ما صنعه بالأمس ، فقص عليه رؤيا النبي (ص) فعندها بكى العلوي وتاب إلى الله تـعـالى مما كـان عليه ، وقـال : إني لا أعـود إلى شيء من ذلك ولا أحـــوج جـــدي رســـول الله أن يحـــاجك من جهتي[1] .

فرسـول الله (ص) والأئمة الهـداة (ع) مقيضـون لتنبيه الأمة من رقـدة الجهل وإنارة سـبيل الهـدى لهم أحيـاءً وأمـواتاً ، وهذا لطف من المولى سـبـحـانه على هذه الأمـة ومنة عليـهم بإنقـاذهم من مـخـالب الضلال ، فشرع الطرق الموصلة إلى القـرب منه جل شأنه ولم يخصها بأقـوال المعـصـومين وأفـعـالهم الـصـادرة منهم حـال الحـيـاة ، بل أفـاض عليـهم عطفه وحنانه بإراءة تلك الأمثال القـدسية في حـال النوم مع شواهد تصدق ذلك (الحلم) ليفوزوا بالرضوان الأكبر .

---

(١) دار السلام للنوري ج١ ـ ص١٥٩ .

Books.Rafed.net

٤ ـ وكان لابن عنين الشاعر[1] أمر عجيب مع العلويين فإنه لما توجه إلى مكة ومعه مال وأقمشة خرج عليه بعض بني داود بن الحسن فأخذوا ما كان معه وسلبوه وجرحوه، فكتب إلى الملك العزيز ابن أيوب صاحب اليمن وكان أخوه الملك الناصر أرسل إليه يطلب منه أن يقيم بالساحل المفتتح من أيدي الإفرنج فزهده ابن عنين في الساحل وحرضه على الأشراف الذين فعلوا به ما فعلوا وأول القصيدة :

أعيت صفاة نداك المصقع اللسنا ... وجزت في الجود حد الحسن والحسنا
وما تريد بجسم لا حياة له ... من خلص الزبد ما أبقى لك اللبنا
ولا تقل ساحل الإفرنج أفتحه ... فما يساوي إذا قايسته (عدنا)
وإن أردت جهاداً فارو سيفك من ... قوم أضاعوا فروض الله والسننا
طهِّر بسيفك بيت الله من دنس ... ومن خساسة أقوام به وخنا
ولا تقل إنهم أولاد فاطمة ... لو أدركوا آل حرب حاربوا الحسنا

فلما قال هذه القصيدة رأى في النوم فاطمة الزهراء (ع) تطوف

---

(١) قال ابن كثير في البداية ج١٣ ـ ص ١٣٧ : هو أبو المحاسن محمد بن نصر الدين بن نصر بن الحسين بن علي بن محمد بن غالب الأنصاري المعروف بابن الشاعر . وفي الحوادث الجامعة ص ٥١ كوفي الأصل دمشقي المولد والمنشأ شاعر مشهور سافر إلى الآفاق في التجارة ومدح الأكابر في كل البلاد، وكان ظريفاً حسن الأخلاق ذا ثروة توفي بدمشق ووافقه على الوفاة بها ابن كثير وعينها في سنة ٦٣٠ أو سنة ٦٣٣هجـ، وفي النجوم الزاهرة ج٦ ص١١٣ له مع الطبيب الموفق أسعد الذي أسلم على يد السلطان مهاجاة، وذكر ابن خلكان ترجمته، وذكره ابن الدبيثي في المختصر المحتاج إليه ج١ ص١٥١، وفي نفح الطيب مطبعة الحلبي ج٧ ص٣٣٠ إلى ص ٣٤٣ .

Books.Rafed.net

بالبيت وهي معرضة عنه فتضرع إليها وسألها عن ذنبه فأنشأت (ع) :

حـــاشـــا بني فـــاطمـــة كلهم من خـســـة تعـرض أو من خنا
وإنمـا الأيـام فـي غـــــــدرهـا وفـــعلهـــا الســوء أســاءت بنا
لئن أســـــا من ولدي واحـــــد وجـهت كل السب عـمـداً لنا
فـــتب إلى الله فـــمن يقـــتـــرف ذنبـاً له يغـفـر مـا قـد جنى
وأكـــرم بعين المصطفى جـــدهـم ولا تـهن مـن آلـه أعـــــــينـا
فكـل مـــــا نـالك منـهـم عـناً تلقى به في الحـــشـــر منا هنا

وانتبه أبو المحاسن يحفظ هذه الأبيات وقد عافاه الله تعالى من المرض فخرق تلك القصيدة وقال :

عـــذراً إلى بنت نبيّ الـهـــدى تصـفح عن ذنب مـسيء جنى
وتوبة تقـــــبلهـــــا من أخي مـــقـــالة توقـــعـــه في العنا
والله لـو قـطـعـني واحـــــــد منهم بسـيف البـغي أو بالقنا
لـم أر مـــا يفـــعله سـيـــئـــاً بل أره في الفـعل قـد أحسنا[1]

هذا حـال المعـصـومين مع من خـرج من ذريتـهم عن سنن الشـريعة واتبع الشـهـوات ، ولا تفوت النكتة في هذه الوصايا فـإن الغرض إنقاذ الذرية من تلك الـهلكات بالتوبة من المعاصي والإقلاع

---

(١) قال في عمدة الطالب ص١١٩ ط نجف اختصرت ألفاظ هذه القصيدة وهي مشهورة مذكورة في ديوان ابن عنين ، ورواها الشيخ تاج الدين أبو عبد الله محمد بن معية الحسني وجدي لأمي الشيخ فخر الدين محمد بن الفاضل السعيد زين الدين حسين بن حديد الأسدي كلاهما عن السيد السعيد بهاء الدين داود بن أبي الفتوح عن أبي المحاسن نصرالله بن عنين صاحب الواقعة ، وقد ذكرها البادراوي في كتاب (الدر النظيم) وغيره من المصنفين ، وذكرها الزبيدي في تاج العروس ج٩ ص٢٨٥ مادة (عون) .

Books.Rafed.net

عن الذنوب مع حفظ الكرامة لهم، وأما من كان منهم عارفاً بالأمر متبعاً لقانون الإسلام فلا يقاس بسائر الناس بشهادة الإمام الرضا (ع) على ما يحدث عنه سليمان بن جعفر قال: قال علي بن عبيد الله بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ع) أشتهي أن أدخل على أبي الحسن الرضا (ع) قلت وما يمنعك من ذلك؟ قال الإجلال والهيبة واتقي عليه.

ثم إن الرضا (ع) اعتلّ علة خفيفة عاده فيها الناس فلقيت ابن عبيد الله وقلت قد جاءك ما تريد قد اعتل أبو الحسن وعاده الناس فإن رأيت الدخول عليه فاليوم، فمضى إلى منزل أبي الحسن فلاقاه أبو الحسن الرضا (ع) بكل ما يحب من الإجلال والتعظيم ففرح بذلك علي بن عبيد الله فرحاً شديداً.

ثم إن علي بن عبيد الله مرض وعاده أبو الحسن الرضا (ع) وأنا معه فجلس حتى خرج من كان في البيت ولما خرجنا أخبرتني مولاة لنا أن أم سلمة امرأة علي بن عبيد الله كانت من وراء الستر تنظر إلى أبي الحسن (ع) فلما خرج جاءت وانكبت على الموضع الذي كان جالساً فيه أبو الحسن تقبله وتمسح به، فقصدت أبا الحسن (ع) وأعلمته بما صنعته أم سلمة فقال (ع): يا سليمان إن علي بن عبيد الله وامرأته وولده من أهل الجنة، يا سليمان إن ولد علي وفاطمة (ع) إذا عرفهم الله هذا الأمر لم يكونوا كالناس[1].

---

(١) رجال الكشي ص ٣٦٥.

Books.Rafed.net

Books.Rafed.net

الخلاصة

لقد وضح مما ذكرناه أن نبي الإسلام أراد بالأمة خيراً حيث أرشدها إلى ما هو الصالح لها ، وفيه الزلفى إلى المهيمن جل شأنه ألا وهو المودة لذريته المستتبعة لعونهم ومساعدتهم على نوائب الدهر وما يحتاجون إليه في هذه الحياة ، وعرفهم بأن هذا المعروف مع آله وقرباه لا يذهب سدى فإنه يوم الجزاء يكون (ص) هو المكافي لكل من أسدى إلى ذريته يداً بيضاء وحينئذ فما ظنك بتلك المجازاة الصادرة من أكرم الخليقة وهل يستطيع أحد أن يحدها أو يقف على مداها .

ملك يحتوي ممالك فضل ... غير محدودة جهات علاها
لو أعيرت من سلسبيل نداه ... كرة النار لاستحالت مياها
ذاك أسخى يداً وأشجع قلباً ... وكذا أشجع الورى أسخاها
كم على هذه له من أياد ... ليست الشمس غير نار قراها
وله في غد مضيف جنان ... لم يحل حسنها ولا حسناها
أين من مكرماته معصرات ... دون أدنى نواله أنداها[1]

فالتحدث عما يشين موقف الذرية من الشرع الحنيف يوجب

---

(١) من قصيدة ملا كاظم الأزري (رحمه الله) .

Books.Rafed.net

وهنا في مقام ذلك الجلال القدسي الطافح بالعظمة وقد أمر (ص) بإكرام أولاده ، الصالح لله والطالح له .

على أن الأحاديث المسطورة في كتب التاريخ مما يشين مقام الذرية لم يثبت صحة إسنادها ، وإنما جاء بها أناس يحملون أحقاداً محتدمة على المصطفى (ص) طلباً لثارات أشياخهم المودى بهم في بدر وحنين وغيرهما من مغازيه مشفوعة بأضغان معتلجة في الصدور على أمير المؤمنين (ع) بما أنه المباشر لإزهاق أولئك الطغام .

لكن الظروف لما لم تسع لهم أن يشينوا سمعة الرسالة عمدوا إلى الوقيعة في آله الأقربين باختلاق نسب مفتعلة ولقنوها الرواة وتلقنتها البسطاء وخفيت على الفطاحل وذوي الفضيلة غير أن الاستضاءة بنور البحث والتنقيب أماطت الستار عن الحقيقة وعرفتنا حال أولئك الرواة وما جاؤوا به من قدح وذم .

ويسجل ابن أبي الحديد في شرح النهج[1] رجالاً كانوا يستميلون دنيا الخلفاء بافتعال أحاديث تبعد العامة عن المعصومين وذويهم . ويقول الخطيب : ضرب المتوكل نصر بن علي ألف سوط لكونه حدث في فضل الحسن والحسين (ع) ولم يكفَّ عنه حتى شهدوا أنه من أهل السنة[2] .

وقول مقاتل للمنصور الدوانيقي : إن شئت وضعت لك أحاديث في فضل العباس بن عبد المطلب[3] يؤكد ما عليه الرواة من افتراء الأحاديث إرضاء للخلفاء .

---

(١) ج١ ـ ص٣٥٨ إلى ص٣٦٥ .
(٢) تاريخ بغداد ج١٣ ـ ص١٦٧ .
(٣) تاريخ بغداد ج١٣ ـ ٢٨٧ .

Books.Rafed.net

أنا لا أقول كل أولئك المنتمين إلى نبي الإسلام منزهون عن الوصمات فإن قضية عدم العصمة في غير الأئمة الاثني عشر تسوغ صدور الشائعة منهم، لكني أقول إن جل هاتيك المطاعن لم تثبت بطرق صحيحة يركن إليها، فلا يصح الطعن بأقوام ثبت الصلاح لنوعهم وأمرنا بحبهم وإكبارهم لمكان جدهم الكريم (ص) بمجرد ورود مثل هاتيك الروايات من دون شواهد وقرائن تقوم على صدقها.

مع ما في ذلك من هتك المؤمن بإخراجه عن مستوى الشريعة المطهرة، والأحاديث تنص على حرمة المؤمن ميتاً كحرمته حياً، وأن الطعن عليه وإيذاءه طعن على الله تعالى في عرشه وحرب لرسوله (ص)[1].

وفيه من الاغتياب المحرم في قوله تعالى: ﴿**أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه**﴾ وصارح الرسول (ص) على منبر الدعوة الإلٰهية بأن الله لا يغفر للمغتاب، إلا أن يغفر له صاحبه وأن حرمة الغيبة كمن زنى بأمه بين الركن والمقام.

والغيبة كما عليه العلماء من الشيعة والسنة ذكر الشخص بما يكره، وأي كراهة أعظم من نسبة الشخص المسلم إلى المروق عن الدين، ولا مبرر غير أحاديث أرسلت في الزبر بلا صحة في إسنادها وقد عرف المنشأ في وضعها واختلاقها.

على أن فيه إشاعة للفاحشة المنهي عنها بقوله تعالى: ﴿**والذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم**﴾.

---

(١) الصدوق في ثواب الأعمال.

Books.Rafed.net

نعم يجوز لمن توفرت عنده القرائن الصحيحة على خروج الشخص عن العدالة والوثاقة فيصفه بذلك بقصد الوقوف على جرحه ليتحرز عن العمل برواياته في الأحكام الشرعية وأما من لم تتوفر عنده القرائن المثبتة للجرح أو توفرت ، ولكن لم يقصد هذه الغاية الثمينة التي وضع علم الرجال لأجلها وأجهد العلماء أنفسهم في تمييز المجروحين من غيرهم فيحرم شرعاً التعرض له لأنه هتك المؤمن وإيذاؤه بالقول الشائن وإشاعة الفاحشة واغتيابه المحرم كل ذلك بالكتاب العزيز والسنة المطهرة .

وعلى هذا فما أرسل في الكتب من نسبة المروق عن الحق إلى عبد الله المحض وجماعة الهاشميين رجالاً ونساءً لا يصح نقله لمجهولية رجال الإسناد في جملة الأحاديث وعدم ثبوت التوثيق في جملة أخرى وعدم الاعتماد على كثير ممن أودع تلك الأحاديث في كتابه .

وقد قال الله تعالى : ﴿**إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين**﴾[1] .

والفاسق أعم ممن ثبت فسقه أو لم يثبت توثيقه .

ومن العجيب أن أرباب الجوامع الذين احتفظوا بأمثال هذه الأحاديث نراهم لم يعبأوا بما تتضمنه من حكم إلزامي وتكليف شرعي بل لا يحتاطون في اتيانه إذاً فكيف جاز الاعتماد على هذه النقول في جرح الرجل المسلم ونسبته إلى التمرد على قانون الإسلام ، أليس هذا من التساهل في الدين؟ (أيها المنصفون) فيعلم من ذلك أن غرضهم من تأليف قضايا تاريخية وقصص أخبار الماضين على ما دب ودرج .

---

(١) سورة الحجرات ، الآية : ٦ .

Books.Rafed.net

ثم إن السيد الجليل الثقة الثبت رضي الدين علي بن طاووس يحدث في رسالته (مسكن الفؤاد) عن الشيخ أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي عن الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان عن الشيخ الصدوق محمد بن علي بن بابويه عن شيخه الجليل محمد ابن الحسن بن الوليد عن محمد بن الحسن الصفار عن محمد بن الحسين بن أبي الخطاب عن محمد بن أبي عمير عن إسحاق بن عمار[1] قال : كتب أبو عبد الله الصادق (ع) إلى عبد الله بن الحسن ـ المثنى ـ حين حمل وأهل بيته يعزيه عما صار إليه ونص الكتاب :

بسم الله الرحمن الرحيم إلى الخلف الصالح والذرية الطيبة من ولد أخيه وابن عمه ، أما بعد : فإن كنت قد تفردت أنت وأهل بيتك ممن حمل معك بما أصابكم ما انفردت بالحزن والغيظ والكآبة وأليم وجع القلب دوني ، وقد نالني من ذلك من الجزع والقلق وحرّ المصيبة مثل ما نالك ، ولكن رجعت إلى ما أمر الله عز وجل المتقين من الصبر وحسن العزاء حين يقول لنبيه (ص) : ﴿**واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا**﴾[2] وحين يقول :﴿ **فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت**﴾[3] وحين يقول لنبيه (ص) حين مثل بحمزة :

---

(١) رجال السند إلى ابن أبي عمير من مشاهير علماء الإمامية وأعيان شيوخ الاجازة ، وأما ابن عمير فهو جليل القدر في الطائفة ثقة ثبت وناهيك بجلالة قدره اعتماد الأصحاب على مراسيله . وأما إسحاق بن عمار فإن كان الصيرفي فهو جليل ثبت ، وإن كان الساباطي فهو موثوق الحديث ، وعلى كل حال فالرواية صحيحة لا وقفة فيها .

(٢) سورة الطور ، الآية : ٤٨ .

(٣) سورة القلم ، الآية : ٤٨ .

Books.Rafed.net

﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين﴾[1] فصبر رسول الله (ص) ولم يعاقب ، وحين يقول : ﴿وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقاً نحن نرزقك والعاقبة للتقوى﴾[2] وحين يقول : ﴿الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون﴾[3] وحين يقول : ﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾[4] وحين يقول لقمان لابنه : ﴿واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور﴾[5] وحين يقول موسى لقومه : ﴿استعينوا بالله واصبروا إن الأرض يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين﴾[6] وحين يقول : ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾[7] وحين يقول : ﴿ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين﴾[8] وحين يقول : ﴿والصابرين والصابرات﴾[9] وحين يقول : ﴿واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين﴾[10] وأمثال ذلك من القرآن كثير .

و اعلم أيا عمي وابن عمي أن الله عز وجل لم يبال بضر

---

(١) سورة النحل ، الآية ١٢٦ .
(٢) سورة طه ، الآية ١٣٢ .
(٣) سورة البقرة ، الآيتان ١٥٦ و١٥٧ .
(٤) سورة الزمر ، الآية ١٠ .
(٥) سورة لقمان ، الآية ١٧ .
(٦) سورة الأعراف ، الآية ١٢٨ .
(٧) سورة العصر ، الآية ٣ .
(٨) سورة البقرة ، الآية ١٥٥ .
(٩) سورة الأحزاب ، الآية ٣٥ .
(١٠) سورة يونس ، الآية ١٠٩ .

Books.Rafed.net

الدنيا لوليه ساعة قط ولا شيء أحب إليه من الجهد واللأواء مع الصبر ، وأنه تبارك وتعالى لم يبال بنعيم الدنيا لعدوه ساعة قط ، ولولا ذلك ما كان أعداؤه يقتلون أولياءه ويخيفونهم ويمنعونهم وأعداؤه آمنون مطمئنون عالون ظاهرون ، ولولا ذلك ما قتل يحيى ابن زكريا ظلماً وعدواناً في بغيّ من البغايا .

ولولا ذلك ما قتل جدك علي بن أبي طالب لما قام بأمر الله عز وجل ظلماً وعدواناً ، وعمك الحسين بن فاطمة (ص) اضطهاداً وعدواناً .

ولولا ذلك ما قال الله عز وجل في كتابه :

﴿ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة ومعارج عليها يظهرون﴾[1] .

ولولا ذلك ما قال في كتابه :

﴿أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون﴾[2] .

ولولا ذلك لما جاء في الحديث :

لولا أن يحزن المؤمن لجعلت للكافرين عصابة من حديد فلا يصدع رأسه أبداً .

ولولا ذلك لما جاء في الحديث :

إن الدنيا لا تساوي عند الله عز وجل جناح بعوضة .

---

(١) سورة الزخرف ، الآية ٣٣ .
(٢) سورة المؤمنون ، الآيتان ٥٥ ـ ٥٦ .

Books.Rafed.net

ولولا ذلك لما جاء في الحديث :

لو أن المؤمن على قمة جبل لبعث الله له كافراً أو منافقاً يؤذيه .

ولولا ذلك لما جاء في الحديث :

إذا أحب الله قوماً أو أحب عبداً صب عليه البلاء صباً ، فلا يخرج من غم إلا وقع في غم .

ولولا ذلك لما جاء في الحديث :

ما من جرعتين أحب إلى الله عز وجل أن يجرعها عبده المؤمن في الدنيا من جرعة غيظ كظم عليها ، ومن جرعة حزن عند مصيبة صبر عليها بحسن عزاء واحتساب .

ولولا ذلك لما كان أصحاب رسول الله (ص) يدعون على من ظلمهم بطول العمر وصحة البدن وكثرة المال والولد .

ولولا ذلك ما بلغنا أن رسول الله (ص) كان إذا خصّ رجلاً بالترحم والاستغفار استشهد .

فعليكم يا عم وابن عم وبني عمومتي وإخوتي بالصبر والرضا والتسليم والتفويض إلى الله عز وجل والرضا والصبر على قضائه والتمسك بطاعته والنزول عند أمره .

أفرغ الله علينا وعليكم بالصبر وختم لنا ولكم بالسعادة وأنقذكم وإيانا من كل هلكة بحوله وقوته إنه سميع قريب وصلى الله على صفوته من خلقه محمد النبي وأهل بيته .

قال السيد ابن طاووس في الإقبال : اشتملت هذه التعزية على وصف عبد الله ـ المحض ـ بالعبد الصالح والدعاء عند جانبها له ولبني عمه بالسعادة وهذا يدل على أن الجماعة المحمولين كانوا عند الصادق (ع) معذورين وممدوحين ومظلومين وبحقه عارفين .

Books.Rafed.net

وما يوجد في الكتب من مفارقتهم للصادق (ع) محتمل للتقية لئلا ينسب إظهارهم في إنكار المنكر إلى الأئمة .

ومما يدل على حسن حالهم ومعرفتهم بالحق ما يرويه خلاد بن عمير الكندي مولى لآل حجر بن عدي قال : دخلت على أبي عبد الله الصادق (ع) فقال : هل لكم علم بآل الحسن الذين خرج بهم مما قبلنا وكان قد اتصل بنا عنهم خبر فلم نحب أن نبدأه به ، فقلنا نرجو أن يعافيهم الله ، فقال (ع) : وأين هم من العافية؟ ثم بكى حتى علا صوته .

ثم قال حدثني أبي عن فاطمة بنت الحسين (ع) قالت : سمعت أبي صلوات الله عليه يقول :

يقتل منك أو يصاب منك نفر بشط الفرات ما سبقهم الأولون ولا يدركهم الآخرون . وإنه لم يبق من ولدها غيرهم .

قال السيد ابن طاووس وهذه شهادة صريحة من طرق صحيحة بمدح المأخوذين من بني الحسن (ع) وإنهم مضوا إلى الله جلّ جلاله بشرف المقام والظفر بالسعادة والإكرام .

ولقد كان عبد الله بن الحسن المحض عارفاً بالحجة المهدي الموعود به الذي يقيم العدل والقسط أو أنه غير ابنه محمد وإن تسمى به .

فقد روينا عن جدنا الشيخ الطوسي بإسناده أن أبا عبد الله الصادق (ع) وقف تحت الميزاب يدعو وعن يمينه عبد الله بن الحسن وعن يساره حسن بن الحسن ومن خلفه جعفر بن الحسن فناداه عباد ابن كثير البصري : يا أبا عبد الله ثلاثاً فلم يجبه ، فقال له : يا جعفر

Books.Rafed.net

فعندها ، قال له : ما تشاء يا أبا كثير ، فقال : إني وجدت في كتاب لي أن هذه البنية ينقضها رجل حجراً حجراً .

فقال (ع) : كذب كتابك يا أبا كثير .

ولكن كأني به والله أصفر القدمين أحمش الساقين ضخم البطن رقيق العنق ضخم الرأس على هذا الركن ، وأشار بيده إلى الركن اليماني ، يمنع الناس من الطواف حتى يتذعروا منه ثم يبعث الله عزّ وجلّ رجلاً مني ، وأشار إلى صدره ، فيقتله قتل عاد وثمود وفرعون ذي الأوتاد .

فقال عبد الله بن الحسن المثنى : صدق والله أبو عبد الله (ع) حتى صدقوه كلهم ، فهل يصدر مثل هذا الاعتراف إلا ممن يعرف الحق واليقين ، ومطمئن بالحجة المهدي من ولد الحسين (ع) .

كما أن إبراهيم بن عبد الله المحض لم ينكره فقد سأله أخوه يحيى عن المهدي ، هل هو أخوه محمد؟ فقال إبراهيم : (المهدي) عدة من الله تعالى لنبيه (ص) وعده أن يجعل من أهله مهدياً لم يسمه بعينه ولم يوقت زمانه ، ولكن أخي محمد قام بفريضة عليه لله تعالى في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فإن أراد الله أن يجعله المهدي الذي يذكر فهو فضل الله يمنّ به على من يشاء من عباده ، وإلاّ فلم يترك أخي فريضة الله عليه لانتظار ميعاد لم يؤمر بانتظاره .

وكان أخوه محمد بن عبد الله يقول : إني خارج مقتول ثم ذكر عذره في خروجه مع علمه بأنه مقتول .

وهذا كله يكشف عن تمسكهم بطاعة الله وطاعة رسوله والأئمة من آله .

Books.Rafed.net

روينا ذلك عن جدي أبي جعفر الطوسي .

انتهى الإقبال .

إني لا أرى لأي أحد التوقف في حسن حال هؤلاء العلويين بعدما يقرأ هذه الرسالة المباركة من الإمام جعفر الصادق (ع) إلى بني عمه .

ولم يسمح له التمسك بالعلم الصحيح إلا رفض كل ما جاء من الطعن في هذه الذوات وأمثالهم ممن لم يثبت بالطرق الصحيحة التمرد منهم على الشرع الأقدس .

ومن هؤلاء ما ستقرؤه عن السيدة سكينة (ع) بنت الإمام الشهيد (ع) التي لم تقم أدلة صحيحة على مروقها عن الشريعة واجتنابها طريق الحق .

ومن هنا قال العلامة الحلّي في أجوبة مسائل ابن مهنا ما نصه :

لا يجوز لأحد أن ينسب إلى أحد من الذرية ارتكاب محرم متفق على تحريمه ما لم يثبت بدليل صحيح ، وإسناد النقص إلى الرواة أولى من إسناد النقص إليهم ، اهـ .

وقال العلامة المجلسي في مرآة العقول ج١ ـ ص ٢٣٢ :

الأنسب عدم التعرض لأحد من أولاد الأئمة إلا بخير إذ لم يثبت الحكم بالتبري منهم ، اهـ .

Books.Rafed.net

Books.Rafed.net

بسم الله الرحمن الرحيم

الغالب على سكينة الاستغراق مع الله عز وجل

أبو عبد الله الحسين (ع)

Books.Rafed.net

Books.Rafed.net

سكينة مع الله تعالى

جاء الحديث : إن الحسن المثنى بن الحسن بن أمير المؤمنين (ع) أتى عمه أبا عبد الله الحسين (ع) يخطب إحدى ابنتيه فاطمة وسكينة ، فقال له أبو عبد الله (ع) أختار لك فاطمة فهي أكثرهما شبهاً بأمي فاطمة بنت رسول الله (ص) ، أما في الدين فتقوم الليل كله وتصوم النهار ، وفي الجمال تشبه الحور العين ، وأما سكينة فغالب عليها الاستغراق مع الله تعالى فلا تصلح لرجل[1] .

إن هذه الكلمة الذهبية من سيد شباب أهل الجنة (ع) تفيدنا درساً بليغاً عن مكانة ابنته (سكينة) من الشريعة المقدسة ، وأن أختها الطاهرة مهما حازت الثناء غير المتناهي لا تبلغ شأوها ، ولا تجاريها في رهبانية وتجرد عن اللذات وانقطاع عن الدنيا الفانية ، وكيف لا تكون كذلك وهي ابنة معدن القداسة عجنت طينتها بماء النزاهة فكانت متأثرة بحسن التربية ، وكرم الأخلاق ، فهي مثال السؤدد ، وقد جللها الشرف مطارف من الحياء والعفة ، فقول الإمام الشهيد (ع) : (غالب عليها الاستغراق مع الله) ، يشير إلى أن ابنته الكريمة كانت سابحة بين أمواج الفناء في الله سبحانه (إن لم نقل البقاء

---

(١) إسعاف الراغبين للصبان بهامش نور الأبصار ص ٢٠٢ .

Books.Rafed.net

بالله) وقد انعكست في مرآة نفسها لواعج الجلال والجمال الإلـٰـهي ، فأينما توجهت لا تجد إلا تلك الصفات المنتقشة فيها المعاني القدسية ، ولا ترى لغيرها كياناً ولا تعتبر لأي جمال خطراً ولا لأي مال معتبراً ولا تحسب أن لسوى ما شاهدته مدكراً .

وإذا كان عشق الإنسان يعشي البصر عن غير المعشوق ، ولا يشعر العاشق بكل ما يلاقيه عند توجه مشاعره نحوه ، كما لم تشعر النسوة بألم قطع المدية أيديهنّ عند توجه مشاعرهن نحو الصديق يوسف (ع) ﴿**وقطّعن أيديهن وقلن حاش لله ما هذا بشراً إن هو إلا ملك كريم**﴾[1] .

فالعشق الحقيقي لمظاهر الجمال الإلـٰـهي أولى بأن يقف سداً دون ما سواه كما لم يشعر أصحاب الحسين (ع) بما لاقوه من ألم الجروح الدامية[2] بعد تكهربهم بولاء سيد الشهداء وتوجه مشاعرهم نحو الجمال القدسي الإلـٰـهي ونزوع أنفسهم إلى الغاية القصوى من القداسة .

وابنة النبوة «السيدة سكينة» بلغت من عظيم مجاهدة النفس إلى حد لم يبق لها نزوع إلا إلى صقع القداسة والاندفاع إلى مركز الفناء في الله عز وجل وليس لها لفتة إلى نواميس الحياة والانعطاف إلى لوازم المعاشرة مع الناس فهي بين عبادة وزهادة وتذكير وتفكير وهذا معنى الاستغراق مع الله تعالى .

وكانت من اللاتي شغلتهنّ الآخرة عن الأولى فلا يرين لغير المولى تعالت آلاؤه كياناً يجلب النظر إليه ، ولا إلى معاشرة من ليست هي مثلها في السلوك والرياضة .

---

(١) سورة يوسف ، الآية ٣١ .

(٢) الخرايج للراوندي ص ١٣٨ . ط الهند .

Books.Rafed.net

وكان ما شاهدته السيدة سكينة «حق اليقين» وهو أرقى مراتب السالكين ، فإن أهل الكشف والسلوك بعد أن عرفوا اليقين بأنه الاعتقاد المطابق للواقع الثابت الذي لا يزول وهو في الحقيقة مؤلف من علمين : علم بالواقع ، وعلم بمحالية خلافه ، ذكروا له مراتب ثلاثاً فإنه إن حصل من الاستدلال والنظر كالعلم الحاصل بوجود النار من الدخان سموه (علم اليقين) .

وإن حصل بالكشف والمشاهدة كمعاينة جرم النار وكالكشف الحاصل للخلص من المؤمنين الذين اطمأنت قلوبهم بالله وتيقنوا بمعاينة قلوبهم ، إن الله نور السموات والأرض سموه (عين اليقين) .

وإن حصل بالاتصال المعنوي لأهل الشهود والفناء الذين لا يرون في الوجود شيئاً إلا (ذات الحق) تعالى شأنه كما قال سيد العارفين أمير المؤمنين (ع) : لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً[1] سموه (حق اليقين) .

وقد أشار الكتاب العزيز إلى هذه المراتب فقال سبحانه : ﴿**كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين**﴾[2] يريد جل شأنه أنه لو حصل الاستدلال بالطرق الصحيحة والنظر فيما ورد

---

(١) هذه الكلمة نقلها الألوسي في تفسيره روح المعاني ج٣ ص٢٧ عند قوله تعالى ﴿**كيف تحيي الموتى**﴾ عن أمير المؤمنين علي (ع) ، ومثله أبو السعود في تفسيره على هامش تفسير الرازي ج٤ ص٥٧٠ عند قوله تعالى في الأنفال ﴿**وإذا تليت عليه آياته زادتهم إيماناً**﴾ ، والخفاجي في شرح الشفا ج٤ ص٤ باب عقد قلب النبي ، ونسبها عماد الدين الأموي في حياة القلوب على هامش قوة القلوب لأبي طالب المكي ج٢ ص٢٥١ إلى بعض السلف .

(٢) سورة التكاثر ، الآيتان ٥ و٦ .

Books.Rafed.net

من الآيات والروايات بوجود ما أعد الله للعاصين لحصل العلم اليقيني بوجود النار الكبرى ، ثم ترتقي الحالة إلى الكشف عنها حتى كأنهم يشاهدونها بنفسها . وهو المراد من قوله تعالى بعد ذلك : ﴿**ثم لترونها عين اليقين**﴾ .

وأما المرتبة الثالثة التي أشار إليها بقوله تعالى : ﴿**وأما إن كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم ، إن هذا لهو حق اليقين**﴾[1] فلا تحصل إلا لمن نظر إليها بواسطة تجرده عن العوارض وتخلية نفسه عن الشهوات ، وانقطاعه عن عالم الملك الزائل[2] .

وإن ابنة النبوة حازت أرقى هذه المراتب التي أخبر عنها الإمام الحجة الواقف على سرائر العباد بقوله : (غالب عليها الاستغراق مع الله) فإن الاستغراق هنا عبارة عن الفناء في بحر العظمة الإلٰهية بحيث لا تكون لها لفتة لوازم الحياة وعوارض الدنيا الفانية .

ومن أجل ذلك أخذت بمجامع قلب أبيها وزاد حنوه عليها حتى استحقت أن يصفها المعصوم بخيرة النساء ، لما وقف عليها يوم الطف ورآها منحازة عن النسوة باكية نادبة فقال (ع) :

لا تحرقي قلبي بدمعك حسرة ... ما دام مني الروح في جثمان
فإذا قتلت فأنت أولى بالذي ... تأتينه يا خيرة النسوان

وهل من المعقول أن حجة الله يخبر عن مبلغ ابنته من الدين وسلوكها مع الله تعالى ، ثم يصفها بخيرة النساء وهو يعلم أنها مارقة

---

(١) سورة الواقعة ، الآيات ٩٢ ـ ٩٣ ـ ٩٤ ـ ٩٥ .
(٢) هذه المراتب الثلاث ذكرها ابن حجر في الفتاوي الحديثية ص٢٢٠ .

Books.Rafed.net

عن صراط الشريعة ، ومتنكبة عن سبيل الحق أو أنها تمرق عنه؟ كلا .

﴿فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب﴾[1] .

(١) سورة الزمر ، الآيتان ١٧ ـ ١٨ .

Books.Rafed.net

Books.Rafed.net

الوضاعون

إن أضداد البيت العلوي كمصعب الزبيري وابن أخيه الزبير بن بكار والهيثم بن عدي الطائي الكوفي وصالح بن حسان وأشعب الطامع وأضرابهم أرادوا أن يشوهوا مقام هذا البيت الطاهر بكل ما لهم من حول وطول ، وحيث إنهم لم يتمكنوا من نسبة المفتريات إلى من وجبت فيهم العصمة من الأئمة الهداة عمدوا إلى أولادهم وبناتهم فاختلقوا في حقهم كل شائنة تخرجهم عن الدين ، وتوقف البسطاء عن الانضواء إليهم وإلى سلفهم طمعاً في وفر ملوك الزمان وقد حصل هناك من يحسب أن سعة العلم في الإكثار من الروايات ولو من غير تثبت في النقل فاختلط الحابل بالنابل ، والصحيح بالسقيم وديف السم في الدسم .

غير أن الاستضاءة بنور العلم الصحيح وتمحيص الحقائق كشفت عن عوار تلك الأحاديث ، ووضح أن هؤلاء الرجال الذين أكثروا من رواية هذه الأكاذيب لم يعتمد عليهم علماء الرجال ولم يجعلوا لأحاديثهم قيمة تذكر فسدوا ثغرة معرة أولئك الدساسين بإخراجهم عن صفوف من يعتمد على مروياته تمحيصاً للأخبار عن وصمة التدجيل .

Books.Rafed.net

وكـان رسـول الله (ص) يعلم بما يحـدث بعـده من دسـائس الدجالين ، فحذر أمته منهم ومن مفترياتهم فقال (ص) : «ستكثر عليَّ القالة من بعدي فمن كذب عليّ فليتبوأ مقعده من النار»[١] .

وكلمة المرزباني تفيد النابه فقهاً بعداوة آل الزبير لآل علي (ع) يقول : انحراف الزبير بن بكار عن أهل البيت (ع) ظاهر فلا يقبل ما جمعه من سرقات كثير الشاعر لتشيعه وهجائه لآل الزبير[٢] .

ولم تخف هذه الظاهرة على شيخنا المفيد فأرسلها معتمداً عليها غير متردد فيها قال : لم يكن الزبير بن بكار مأموناً في الحديث ولا موثوق النقل فيما يرويه من القذائف في حق أهل البيت ومنه تزويج عمر بأم كلثوم لبغضه أمير المؤمنين (ع) وتحامله عليه[٣] .

وقال العلامة الحلي : كان الزبير بن بكار بن عبد الله بن مصعب ابن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام من أشد الناس عداوة لأمير المؤمنين وولده[٤] .

ولم يعتمد أحمد بن علي السليماني على روايات الزبير بن بكار لإكثاره الرواية عن الضعفاء[٥] .

---

(١) الاحتجاج للطبرسي ص٢٤٧ في احتجاج الجواد على ابن أكتم .
(٢) الموشح ص١٥٤ .
(٣) المسائل السروية ص٦١ المسألة العاشرة وعنه المجلسي في البحار ج٩ ص ٦٢٤ ، وغير خفي على القارئ أن البحث والتنقيب أوقفنا على نكتة مهمة وهي عدم وجود أم كلثوم بنت فاطمة وعلي (ع) والديباج من فاطمة ابنة الحسين في اللوح المحفوظ وليس لفاطمة (ع) إلا العقيلة زينب الكبرى وقد أوضحناه في (نوادر الآثار) .
(٤) كشف اليقين ص٩٤ ص إيران .
(٥) تهذيب التهذيب لابن حجر ج٣ ص٣١٣ .

Books.Rafed.net

ويقول ابن الأثير كان مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت ابن عبد الله بن الزبير بن العوام منحرفاً عن علي (ع) أنه قال[1] .

ويقول ابن النديم : كان مصعب الزبيري وأبوه عبد الله من شرار الناس متحاملين على ولد علي (ع) وخبر عبد الله مع يحيى بن عبد الله المحض معروف[2] وكان من حديثه معه أنه جاء إلى الرشيد وأخبره بأن يحيى أراده على البيعة وقد سعى لنقض سلطانه ، فجمع الرشيد بينهما فأنكر يحيى ذلك وقال : إن هذا الزبيري ما زال يريد الوثوب على الملك ، وقد خرج مع محمد ذي النفس الزكية وهو القائل من أبيات :

قوموا ببيعتكم ننهض بطاعتنا إن الخلافة فيكم يا بني حسن

ولم تكن سعايته إلا بغضاً لنا لا الحب لك ، ولو وجد أنصاراً لخرج علينا جميعاً وإني مستحلفه فإن حلف فدمي لأمير المؤمنين هدر ، فلما أراد أن يستحلفه تلكأ الزبيري فوكزه (الفضل) وقال : لماذا تمتنع إن كنت صادقاً ثم التفت إليه يحيى وقال قل : (تقلدت الحول والقوة دون حول الله وقوته إلى حولي وقوتي إن لم أكن صادقاً) .

فلما حلف به كبر يحيى وذكر حديثاً عن آبائه أنه ما حلف أحد بهذا إلا عجل الله له العقوبة قبل ثلاث ، وقبل أن ينتهي اليوم الثالث أصابه الجذام ثم اسودّ حتى صار كالفحم الأسود وهلك بأقبح حال ، ولما أدلوه في حفرته انخسف به القبر وظهرت رائحة منتنة ، ولم يستطيعوا أن يسدوا الحفرة بأحمال الشوك حتى سقفت بالساج ووضع عليها التراب[3] .

---

(١) كامل ابن الأثير ج٧ ص١٩ حوادث سنة ٢٣٦ .
(٢) الفهرست ص١٦٠ .
(٣) مروج الذهب ج٢ ـ ص٢٦٦ ، في أخبار الرشيد .

Books.Rafed.net

ويحدث الصدوق أن رجلاً استحلف الزبير بن بكار بين قبر رسول الله (ص) ومنبره فلما حلف ظهر به برص كثير وأبوه بكار ظلم علي بن موسى بن جعفر (ع) وتعدى فدعا عليه ، وفي الوقت وقع حجر فوقه فاندقت عنقه ، وأبوه عبد الله بن مصعب جرى له مع يحيى أمام الرشيد وذكر الحديث المتقدم[1] .

هذا حال الزبير بن بكار وعبد الله وابنه مصعب ، وأما الهيثم ابن عدي الكوفي فعند البخاري والنسائي ويحيى بن معين أنه كذاب له مناكير غير ثقة فهو متروك الحديث[2] .

وأما صالح بن حسان الأنصاري فعند البخاري والنسائي ويحيى ابن معين أنه منكر الحديث غير ثقة ولا مأمون النقل[3] .

وأما أشعب الطامع فكان مولى لآل الزبير وأمه حميدة بالتصغير كانت مولاة أسماء بنت أبي بكر وكانت تدخل بيوت أزواج النبي (ص) وتحرش بينهنّ فأمر النبي بتعزيرها ، وقيل دعا عليها فماتت وحيث إن أشعب ولد بعد النبي (ص) فلعل بدعاء الرسول (ص) أصابها مرض اتصل بهلاكها بعده (ص)[4] .

وتربى أشعب في بيت عائشة بنت عثمان بن عفان ومناوأة هؤلاء للأسرة العلوية غير خفي ، فإن من ضالتهم المنشودة أن يصموهم بكل شائنة وتأثير الولاء والتربية مما لا شك فيه إلا من عصمه الله تعالى .

---

(١) عيون أخبار الرضا ص٣٤٠ .
(٢) لسان الميزان ج٦ ، ص٢٠٩ ومجمع الزوائد ج١ ص١٤٦ .
(٣) تاريخ بغداد للخطيب ج٩ ص ٣٠٢ .
(٤) الإصابة ج٤ ، ص٢٧٥ .

Books.Rafed.net

مع أن الرجل (أشعب) من أهل المجون الذين ما تركوا الخلاعة والتهتك فأحاديثه كلها من هذا القبيل ، إذاً فأي عبرة برواياته لا سيما إذا كان من ينبزه علوياً .

فهؤلاء إلى أضرابهم مثل مقاتل الذي يقول للمنصور : أتحب أن أضع لك في فضل العباس بن عبد المطلب[١] وعوانة بن الحكم يضع أخباراً في فضل بني أمية وعيسى بن داب يضع في فضل العباسيين[٢] ولا تسأل عن سمرة بن جندب الفزاري الذي استماله معاوية بالمال وكان عامل ابن زياد على البصرة[٣] ، وتولى شرطة عبيد الله بن زياد في الكوفة وكان ممن يحرض الناس على الخروج لحرب الحسين (ع)[٤] .

وهو صاحب النخلة في بستان الأنصاري فكان يدخل إليها على حين غرة من الأنصاري وأهله فيراهم على حال لا يرضونه ، وكلما راجعه الأنصاري في الاستئذان عند الدخول لتتستر المرأة لم يقبل فشكاه إلى رسول الله (ص) فكلمه في الاستئذان فلم يقبل ، فساومه عن نخلته بالكثير فأبى أن يبيع ، فقال (ص) : «دعها ولك عذق في الجنة يمد لك ، فأبى أن يقبل فعندها قال رسول الله للأنصاري : «اذهب واقلعها وارم بها إليه فإنه لا ضرر ولا ضرار[٥]» ،

---

(١) تاريخ بغداد ج١٣ ، ص ١٦٧ .
(٢) معجم الأدباء ج١٦ ، ص ١٣٧ ، و١٦٢ .
(٣) الطبري ج٤ ، ص١٣٢ .
(٤) شرح النهج الحديدي ج١ ص٣٦٣ .
(٥) فروع الكافي للكليني ج١ ص٤١٠ ، ومن لا يحضره الفقيه للصدوق ص٢٥٢ باب الشفعة ، والفائق للزمخشري ج٢ ص٨٠ مادة عضد طبع حيدر آباد ، والمحلى لابن حزم ج٩ ص٢٩ مسألة ١٥٤٠ ، ومصابيح السنة للبغوي ج٢ ص١٨ إحياء الموات .

Books.Rafed.net

وهو أحد العشرة الذين قال النبي (ص) : «آخركم موتاً في النار» ، فمات سمرة آخرهم[1] .

وعلى هذه الطريقة سار المدئيني فأكثر من الافتراء على أهل هذا البيت الطاهر وشحنت الجوامع بمروياته ، ويكفيه أنها سادت على البسطاء ومن لا تثبت له في النقل .

وله في شأن مسلم بن عقيل أدهى ، وأمر وفي كتاب الشهيد مسلم بن عقيل ص٤٥ كشفنا العوار عن هذه الرواية وناقشنا فقراتها فوضح ابتعادها عن الحقيقة ، وكأن الغاية الباعثة للمدائني أن يثبت منزلة رفيعة في الكرم لابن هند فمشت هذه الأكذوبة على من لا فقه له بمغازي هؤلاء الوضاعين والمدائني هو علي بن عبد الله بن أبي سيف البصري المدائني البغدادي مولى سمرة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف[2] ويقول ابن حجر : إنه مولى عبد الرحمن بن سمرة[3] وعدم موافقة ولادة المدائني التي هي في سنة ١٣٥ لسنة وفاة عبد الرحمن بن سمرة الواقعة في سنة ٥٠ لا يبعد هذا الولاء بعد ما ينص ابن كثير على أن لعبد الرحمن أولاداً كثيرين[4] ، ويسمي ابن حجر بعضهم عبيد الله تغلب على البصرة في فتنة ابن الأشعث[5] فإطلاق الولاء لأبيهم عبد الرحمن أو لجدهم سمرة صحيح بملاحظة أولاده .

---

(١) المعارف لابن قتيبة ص١٣٢ .
(٢) معجم الأدباء ج١٤ ص١٢٤ طبعة ثانية .
(٣) لسان الميزان ج٤ ص٢٥٣ .
(٤) البداية لابن كثير ج٨ ص٤٧ سنة ٥٠ .
(٥) الإصابة ج٢ ص٤٠١ ترجمة عبد الرحمن .

Books.Rafed.net

وإذا أوقفتنا نصوص المؤرخين على أن عبد الرحمن من (الشجرة) التي أنتجت (معاوية) وكان من عماله على سجستان وغزا له خراسان[١] وبلخ وكابل[٢] والرخج وبست[٣] فلا نرتاب في سيره على أثر معاوية من التحامل على كل من ناوأه معاوية وهذه قضايا قياساتها معها .

ولا ريب أن الموالي يرثون هذه النزعة اللهم إلا أن يكبح الطغيان الخضوع لقانون الإسلام فيقف عند حدوده و[المدائني] المكثر من خلق الأحاديث الرافعة للبيت الأموي والواضعة من قدر رجالات بيت الوحي والنبوة لا يتأثر بالأدب الإلٰهي ولا بنصائح النبي (ص) الثمينة ، ولأجل هذا ضعفه ابن عدي في الكامل ويقول ابن حجر : حديثه غير قوي وكان الزبير بن بكار وابنه يحدثان عنه[٤] وعليه فلا يسع من يتحرى الحقائق الاعتماد عليه في مدح أو ذم إلا أن تدعم روايته قرينة جلية .

---

(١) الإصابة ج٢ ص٤٠١ .
(٢) تاريخ اليعقوبي ج٢ ص١٩٣ طبع النجف .
(٣) كامل ابن الأثير ج٣ ص١٧٤ عليه مروج الذهب .
(٤) لسان الميزان ج٤ ص٢٥٣ .

Books.Rafed.net

Books.Rafed.net

أول من وضع الحديث

لقد تجلى لنا ونحن نسبر المدونات ونمحص الأحاديث أن أول من وضع الأحاديث الشائعة في ابنة الحسين (سكينة) مصعب الزبيري المتوفى سنة ٢٣٦ في كتابه «نسب قريش» لينصرف المغنون والشعراء عن ابنتهم سكينة بنت خالد بن مصعب بن الزبير التي تجتمع مع ابن أبي ربيعة الشاعر، والمغنيات يغنين لهم[١] وزمر بها مرافقه في بغداد المدائني[٢] المتوفى سنة ٢٢٥، وزاد عليها الزبير بن بكار وابنه وتلقاها المبرد المتوفى سنة ٢٨٥ عن هؤلاء الوضاعين وعنه أخذها تلميذه الزجاجي وغيره من دون تمحيص فأضلوا كثيراً من الكتاب والمؤرخين حتى رووها بلا اسناد موهمين أنها من المسلمات.

ثم جاء أبو علي القالي تلميذ الزجاجي الأموي الفكرة والعقيدة فسجل في أماليه ما تلقاه من أستاذه قصداً للحط من كرامة البيت العلوي[٣] خصوصاً وقد تقلب في نعمة الناصر عبد الرحمن الأموي

---

(١) أغاني ج١ ص٦٧.

(٢) في الأغاني ج١١ ص١٢٧ نقل حديثاً عن المدائني عن مصعب بن عبد الله الزبيري.

(٣) سكينة بنت الحسين للفكيكي ص ١٥ حديث الشهر.

Books.Rafed.net

في الأندلس الذي استدعاه من بغداد ، واحتفل به في الأندلس فأكرم مثواه وعزز منزلته فألف وكتب[1] على ما يروق للأمويين الذين نكل بهم الهاشميون وبددوا ملكهم .

---

(١) ترجمة القالي في مقدمة الأمالي بقلم محمد عبد الجواد الأصمعي .

Books.Rafed.net

أبو الفـــرج

لقد اتخذ أبو الفرج روايات من ذكرناهم حجة في نشر الشنائع والمنكرات ، وأفـعـم كـتـابه [الأغـانـي] بتلك الروايات التي شـوهت الحقائق ولم تحفظ كرامة البيت العلوي ولا من حواه ، وأبو الفرج لم يتح له معرفة حقيقة هذا البيت وما يلزم من حواه من النفسيات الحميدة ولو عرف مقدار هذا العنصر الطاهر (آل الرسول) عليهم السلام وما منحهم الباري سبحانه من المآثر يوم صاغهم طاهرين من كل دنس ، مطهرين عن كل ما يزري بهم لما دون هاتيك الأخبار .

لكن الرجل تكيفت نفسيته بأخبار سلفه الأمويين الذين تسنموا عرش الخلافة من غير أي حنكة أو جدارة مع التخلع بارتكاب المآثم واجتراح السيئات وعمل الفجور ومعاقرة الخمور ولم يكبحهم عنها حياء وخجل .

من أين تخـجل أوجـه أمـوية سكبت بلذات الفجور حياءها

نعم اعتنقوا الخلافة ولما يعلم الباحث ما الذي أهلهم لها وملؤوا أعيابهم بوائق ومخاريق بلى كان المؤهل لها .

صلابة أعلاها الذي بلل الحيا به جف أو في الملك أسفلها الندى

Books.Rafed.net

هؤلاء رجال القوم وأما نساؤهم فحدث عنهن ولا حرج ، وما عسى أن يقول القائل في : حمامة ، والزرقاء ، وهند آكلة الأكباد[1] إلى بغيات وصاحبات رايات وربات مواخير إذا بلغن من الكبر عتياً .

وحديث ولادة بنت المستكفي الخليفة الأموي في الأندلس مشهور فإنها كتبت على تاجها :

أنا والله أصلح للمعالي وأمشي مشيتي وأتيه تيها
وأمكن عاشقي من لثم ثغري وأعطي قبلتي من يشتهيها[2]

فالرجل هذا سلفه وأصله وهو متشرب بأخبارهم وعاداتهم ولا يهوى إلا من سار على نهجهم واتخذ طريقتهم وبالطبع لا يميل إلى

---

(١) كانت المومسات أيام الجاهلية يضعن على أبواب دورهن أعلاماً يعرفن الراغبين في البغاء أن هنالك طلباتهم ، وقد اشتهر بهذه الفعلة نساء منهن الزرقاء جدة مروان بن الحكم كما في الفخري ص٨٨ ، وتذكرة الخواص ص١١٩ ، وفي ابن الأثير ج٤ ـ ص٧٥ يقال لعبد الملك وولده بنو الزرقاء قصداً لعيبهم بذلك ، وفي أنساب الأشراف للبلاذري ج٥ ص١٢٩ جرى كلام بين مروان وعمرو بن العاص فقال له عمرو : يا ابن الزرقاء ، فقال مروان : قد كانت زرقاء فقد أنجبت وأدت الشبه إذ لم تؤده النابغة ، ومنهن حمامة أم أبي سفيان كما في شرح النهج الحديدي ج١ ـ ص١٥٧ ، ومنهن هند أم معاوية كما في ربيع الأبرار للزمخشري في باب القرابات ، ومنهن سمية أم زياد كما في تاريخ أبي الفداء ج١ ص١٨٤ ، ومروج الذهب ج١ ص٥٦ ، وابن خلكان بترجمة يزيد بن مفرغ ، ومنهن النابغة أم عمرو بن العاص كما في تاريخ أبي الفدا ج١ ـ ص١٨٨ ، وتذكرة الخواص ص١١٧ ، والمحاسن والمساوي للبيهقي ج١ ص٧٠ ، وابن أبي الحديد ج٢ ـ ص١٠٠ ، وثمرات الأوراق لابن حجة الحموي بهامش المستطرف ج١ ـ ص١١٣ ، والسيرة الحلبية ج١ ـ ص٤٧ .

(٢) شرح رسالة ابن زيدون بهامش شرح لامية العجم ج١ ـ ص١١ مصر .

Books.Rafed.net

البيت العلوي الطاهر الشانئ لهذا العنصر الأموي الحائد عن سنن الصراط السوي .

ولم يثبت تشيعه من طرق صحيحة وإن أرسله المؤرخون حتى انطلى على جملة من الشيعة فذكروه في رجالهم وذهب عنهم أن هذه الأكذوبة أمر دبر بليل ، إنما افتعلوها ليحملوا الشيعة أوزاراً مما أثبته من المنكرات ومما يشهد بعدم وثوق أولئك المؤرخين بتشيعه مع إرسالهم له أنا نراهم يبخسون في تراجمهم حقوق علماء الإمامية ويرمونهم بالطامات من عيب في الدين أو نقص في المروءة أو مروق عن الورع[1] .

مع إكبارهم لكل من مال عن أهل البيت فإعظامهم هذا الرجل بالمدح البالغ حده مع وقوفهم على خلاعته وخفة عقله وبذاءة لسانه وفسق جوارحه ليس إلا لما ذكرناه من تحامله على أهل البيت ، ومن انضوى إلى رايتهم ودعا إلى مبدئهم واعترف بنزاهتهم إعلاماً بأن الرجل من الشيعة وهو أعرف بما هم عليه .

لكن النظرة الدقيقة في التاريخ تفيدنا أن الرجل كما أنه مرواني النسب مرواني النزعة ولذلك ألف لأقاربه الأمويين من ملوك الأندلس

---

(١) لاحظ العتب الجميل على أهل الجرح والتعديل ص٤٠ طبع مصر سنة ١٣٤٢هجـ تعرف الرجال الذين طعنوا فيهم ولم يأتوا بشيء سوى الموالاة لأهل البيت كما تعرف الرجال المائلين عن أهل البيت فلقد أكثروا من توثيقهم وإطرائهم وقد ذكر عن تهذيب التهذيب لابن حجر بترجمة عمر ابن سعد أنه قال : عمر بن سعد تابعي ثقة وهو الذي قتل الحسين ، ثم قال ابن أبي عقيل بعد هذا (لا حول ولا قوة إلا بالله) .

إن كان هذا نبيّاً فالكلب لا شك ربّي

Books.Rafed.net

كتباً وصيرها إليهم سراً فأتته الجائزة منهم سراً[1] .

وأرسل كتاب الأغاني إلى الحكم الثاني المستنصر وهو في الأندلس قبل أن يخرجه إلى العراق فأرسل إليه الحكم ألف دينار من الذهب العين[2] .

على أنه ليس في كتبه وشعره أي صراحة بانتمائه إلى مذهب أهل البيت (ع) عدا إشعارات لا تعدو أن تكون تزلفاً منه إلى ملوك وقته آل حمدان وأمرائه ممن ينتمون إلى ولاء العترة الطاهرة وذرية الرسول (ص) ويصلون مادحيهم بعطائهم الجزيل .

ومن ذلك تأليف كتاب [المقاتل] فإنه ألفه إلى من عرفت من ملوك الشيعة طمعاً في رفدهم وحصناً لما رامه من المطامع في أهل البيت حتى تبعد عنه وصمة الافتعال .

وقد اشتمل كتاب المقاتل على كثير من الموضوعات .

وأما كتابه [الأغاني] فاسمه وموضوعه وسبر أغواره شواهد واضحة على انحرافه عن الطريقة المثلى واندفاعه إلى تدوين ما تحدو إليه الأهواء والشهوات ، فهو كما قال فيه صاحب [روضات الجنات] بترجمة الرجل : (إن من يتصفحه لم ير فيه إلا هزلاً وإضلالاً وبقصص أرباب الملاهي اشتغالاً وعن علوم أهل البيت اعتزالاً) .

---

(١) معجم الأدباء ج١٣ ـ ص١٠٠ ط ثاني ، وتاريخ أبي الفداء ج٢ ـ ص١٠٨ ومرآة الجنان لليافعي ج٢ ـ ص٣٥٩ .

(٢) تاريخ الفكر الأندلسي ص١١ ترجمه عن الإسبانية حسين مؤنس ، وص٣٠ من ترجمة أبي علي القالي بقلم محمد عبد الجواد الأصمعي أول الأمالي طبعة دار الكتب العربية .

Books.Rafed.net

ويقول القاضي محمود بن محمد عرنوس : إن كتاب الأغاني اشتمل على كثير من الأخبار الواهية بل الموضوعة[١] .

وأما مقام أبي الفرج في الحديث والرواية فكما حدث الخطيب البغدادي عن أبي عبد الله الحسين بن محمد بن القاسم بن طباطبا العلوي قال : سمعت أبا الحسن النوبختي يقول : كان أبو الفرج الأصبهاني أكذب الناس إنه يدخل سوق الوراقين وهي عامرة مملوءة بالكتب فيشتري كثيراً من الصحف ويحملها إلى بيته ثم تكون رواياته كلها منه[٢] .

وقال ابن حجر : قد اتهم أبو الفرج بكثرة ما كتب والظاهر أنه صدوق[٣] .

وهذا الاستظهار منه يرشدنا إلى شك العلماء فيه وإلا لذكر من يعتمد عليه ويوثقه ويجزم به ولم يجعله محل الاستظهار .

فهذا ابن الجوزي : لا يثق برواية أبي الفرج محتجاً بأنه يصرح بكتبه بما يوجب الفسق عليه وتهاونه بشرب الخمور ، وربما حكى ذلك عن نفسه ومن تأمل كتاب [الأغاني] رأى كل قبيح ومنكر[٤] .

وسجل ابن كثير الحنبلي هذه العقيدة في أبي الفرج من دون تعقيب[٥] .

---

(١) تاريخ القضاء في الإسلام ص ١٨٢ .
(٢) تاريخ بغداد ج١١ ـ ص٣٩٩ .
(٣) لسان الميزان ج٤ ـ ص٢٢١ .
(٤) المنتظم ج٧ ـ ص٤٠ حوادث سنة ٣٥٦ .
(٥) البداية ج ١١ ـ ص٢٦٣ .

Books.Rafed.net

ويكفي في انحيازه عن الورع بذاءة لسانه وسبابه المقذع وهجائه الناس واستهانته أكل لحومهم والنيل من الأعراض فهو من المخالفين للإمامية قطعاً ، وأنه من المتورطين في السيئات المتحاملين على المؤمنين بالمنكرات ولم تخف هذه الظاهرة على العلامة الحلي فذكره في القسم الثاني من الخلاصة المعقود لمن يتوقف في رواياته .

﴿من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون﴾[1] .

---

(١) سورة الأعراف ، الآية ١٨٦ .

Books.Rafed.net

نظرة الدكتور زكي مبارك في الأغاني

إن كلمة الأستاذ زكي مبارك صورت الرجل وكتابه الأغاني بما يفيد القارئ زيادة بصيرة مما عليه من الخلاعة والمروق عن الدين وفراغ الكتاب [الأغاني] عن الحقائق التاريخية .

قال في وصف الكتاب :

إن في مقدمة كتاب الأغاني عبارات صريحة في أن المؤلف قصر اهتمامه على امتاع النفوس والقلوب والأذواق ، فكتابه مجموعة تغذى بها الأندية ومجامع السمر ومواطن اللهو ومغاني الشرب ، وقد اهتم بالغناء الذي عرف له قصة تستفاد وحديثاً يستحسن وعلل ذلك بقوله : إذ ليس لكل الأغاني خبر نعرفه ولا في ما له خبر فائدة ولا لكل ما فيه بعض الفائدة رونق يروق الناظر ويلهي السامع .

وهذا التعبير هو الوصف الصادق لما اختاره الأصبهاني أن يدور عليه كتابه حين أراد أن يقدم ما راقه من أيام العرب وقصص الملوك في الجاهلية والخلفاء في الإسلام ، وخصوصاً إذ لاحظنا أن كلامه يشعر بأنه مستعد لإهمال ما فيه بعض الفائدة إذا خلا من ذلك الرونق الذي يروق الناظر ويلهي السامع ، فهو إذن يساير القراء المتطلعين إلى النواحي الطريفة من أخبار الملوك والخلفاء والوزراء

Books.Rafed.net

والكتّاب والشعراء ولهذا النحو في التأليف قيمة عظيمة إذا فهمه القارئ على الوجه الصحيح .

ولكن الخطر كل الخطر أن يطمئن الباحثون إلى أن لروايات الأغاني قيمة تأريخية وأن يبنوا على أساسها ما يشاؤون من حقائق التأريخ .

وقد جاءت أحاديث الأغاني مروية بالسند والرواية بالسند شيء ساحر فتن به كثير من الناس وظنوه علماً دقيقاً له آداب وشروط واعتماداً على هذا العلم الدقيق اطمأن كثير من الباحثين إلى روايات الأغاني ، فضلوا وأضلوا في حقائق التأريخ .

ويشهد له أن صاحب الأغاني حدث بسنده عن ابن اخ رزقان عن أبيه قال أدركت مولى لعمر بن أبي ربيعة شيخاً كبيراً فقلت له حدثني عن عمر بحديث غريب .

وكلمة غريب لها معناها فيما نحن بسبيله من أخذ الرواة بالتلفيق والاختلاق فإن البحث عن الأوضاع الغريبة من أحاديث ابن أبي ربيعة تدل على ظمأ النفوس إلى النادر المستطرف من القصص والأحاديث وما عسى أن يكون ذلك الخبر الغريب؟ هو خبر يشبه من أكثر نواحيه قصة حج أبي نواس التي اخترعها ابن دريد .

وقد استمر صاحب الأغاني ينقل من أخبار عمرو بن أبي ربيعة ما طاب له من غير نقد ولا تمحيص ، ولكنه فطن في بعض ما رواه إلى تلفيق الرواة حين عرض إلى تزويج الثريا وخروجها إلى مصر وعمر غائب فقال :

[وهذا الخبر عندي مصنوع وشعره مضعف يدل على ذلك ولكني ذكرته كما وقع إليّ] .

Books.Rafed.net

وهنا يدلنا صاحب الأغاني على ارتيابه في بعض الأخبار ولكن لماذا يذكر ما ارتاب فيه كما يقع إليه من دون تمحيص وتحقيق ، نعم أراد أن يقدم ما يروق الناظر ويلهي السامع كما ذكر في مقدمة كتابه هذا ولو مضينا نحصي ما في روايات الأغاني من التلفيق لطال بنا القول فلنكتف بهذه الإشارة .

هذا ما يتعلق بكتاب الأغاني وأما ما يتعلق بأبي الفرج نفسه فنقول :

إن الأصبهاني كان مسرفاً أشنع الاسراف في اللذات والشهوات وقد كان لهذا الجانب من تكوينه الخلقي أثر ظاهر في كتابه ، فإن كتاب الأغاني أحفل كتاب بأخبار الخلاعة والمجون ، وهو حين يعرض للشعراء والكتّاب يهتم بسرد الجوانب الضعيفة من أخلاقهم الشخصية ويهمل الجوانب الجدية إهمالاً ظاهراً يدل على أنه كان قليل العناية بتدوين أخبار الجد والرزانة والتجمل والاعتدال .

وهذه الناحية من الأصبهاني أفسدت كثيراً من آراء المؤلفين الذين اعتمدوا عليه .

وإن إكثار الأصبهاني من تتبع سقطات الشعراء وتلمس هفوات الكتاب جعل في كتابه جواً مشبعاً بأوزار الإثم والغواية وأذاع في الناس فكرة خاطئة هي اقتران العبقرية بالنزق والطيش والخروج من رعاية العرف والدين .

ولو خلينا الأخبار المروية جانباً ونظرنا فيما حدث به أبو الفرج عن نفسه لعرفنا مبلغ حذقه في وضع الأقاصيص .

قال : كنت في أيام الشبيبة والصبا آلف فتى من أولاد الجند في

Books.Rafed.net

السنة التي توفي فيها معز الدولة وولي بختيار ، وكانت لأبيه حال كبيرة ومنزلة من الدولة ورتبة ، وكان الفتى في نهاية من الحسن وسلاسة الخلق وكرم الطبع يحب الأدب ويميل إلى أهله ، ومضت لي معه سير لو حفظت لكانت كتاباً مفرداً ، وقد كنت آتي إليه فيدخلني إلى حجرة لطيفة كانت مفردة له فنجتمع على الشراب والشطرنج وما أشبههما فأتيته يوماً وجلست على دكة بباب داره منتظراً له ولما أبطأ عليّ قمت لأجل لقاء صديق ثم أعود ، فهجس لي أن كتبت على الحائط الذي كنا نستند عليه .

يا من أظل بباب داره ويطول حبسي لانتظاره
وحياة طرفك واحوراره ومجال صدغك في مداره
لا حلت عمري عن هواك ولو صليت بحرٍّ ناره

فلما عاد ووقف على الأبيات غضب من فعلي لئلا يقف عليه من يحتشمه وكان شديد الكتمان خصوصاً من أبيه فكتب تحتها :

(ما هذه الشناعة ومن فسح لك هذه الإذاعة وما أوجب خروجك عن الطاعة ، ولكن أنا جنيت على نفسي وعليك ملكتك فطغيت وأطعتك فتعديت وما أحتشم أن أقول هذا تعرض للإعراض عنك والسلام) .

فعلمت أنني قد أخطأت وسقطت ـ شهد الله ـ قوتي فأخذتني الندامة والحيرة ثم أذن لي فدخلت فقبلت يده فمنعني وقلت يا سيدي غلطة غلطتها وهفوة هفوتها فإن لم تتجاوز عنها وتعف هلكت فقال لي : أنت في أوسع العذر بعد أن لا يكون لها أخت .

ولم تمض إلا مديدة حتى قبض على أبيه وهرب فاحتاج إلى الاستتار فلم يأنس هو ولا أهله إلا أن يكون عندي فأنا على غفلة إذ

Books.Rafed.net

دخل في خف وإزار فكادت مرارتي تنفطر فرحاً فلقيته أقبل رجليه وهو يضحك ويقول : يأتيها رزقها وهي نائمة هذا يا حبيبي بخت من لا يصوم ولا يصلي في الحقيقة ، وكان أخف الناس روحاً وبتنا في تلك الليلة عروسين لا نعقل سكراً واصطبحنا وقلت هذه الأبيات :

بت وبات الحبيب ندماني من بعد نأي وطول هجران
نشرب فضية معتقة بحانة الشط مند أزمان
وكلما دارت الكؤوس لنا ألثمني فاه ثم غنانيَ
الحمد لله لا شريك له أطاعني الدهر بعد عصيان

ولم يزل مقيماً عندي نحو شهر حتى استقام أمر أبيه ثم عاد إلى داره ، فهذه الأخبار التي رواها أبو الفرج عن نفسه تعين اتجاهاته الذوقية في الحياة ومن هنا جاء غرامه بتعقب أخبار الخلاعة والمجون فيمن ترجم له من الشعراء انتهى باختصار[1] .

فإذا كان هذا مقام أبي الفرج في الدين والورع والعفة ومقام كتابه في الحقائق فهل تبقى قيمة لما يحدث فيه ما لم يدعم بقرائن صحيحة ، خصوصاً بعد أن عرفنا حال من يحدث عنهم ويعتمد في كتابه على روايتهم كآل الزبير وأشعب الطامع والهيثم بن عدي وصالح بن حسان إلى أمثالهم من مجهولين .

وإنك لتجد في هذه الرسالة النقل عن كتاب الأغاني فهو من باب ألزموهم بما ألزموا به أنفسهم أو لأن تلك النقول لا تنافي شيئاً من مقام من نقل عنه ، وليس النقل للاعتماد على الكتاب أو على ما فيه من روايات لم نعرف حال سندها .

---

(١) النثر الفني ج١ ، ص٢٣٥ وص٢٤٤ ، وروى القصة ياقوت في معجم الأدباء ج٥ ، ص١٦٠ .

Books.Rafed.net

Books.Rafed.net

رجال الأغاني

إني لا أجد القارئ بعد هذا البيان الضافي مرتاباً في كذب ما حدث به أبو الفرج في حق السيدة (سكينة) ابنة سيد شباب أهل الجنة الحسين ابن أمير المؤمنين (ع) فإن الأحاديث التي جاء بها وجدناها مروية عمن ذكرناهم من آل الزبير وأمثالهم من المعروفين بالافتعال أو العداوة لآل الرسول (ص)، ولم يردعهم أي رادع عن الكذب الذي هو أقبح المعاصي ومفتاح كل شر وطريق يسلك به إلى الفتن ويلقح البغضاء والإحن وعثرة في سبيل النجاح والسعادة ولذلك حرمته الشريعة (كتاباً وسنة) وعضدهما العقل وإجماع المسلمين .

فلا تقف على صاحب مروءة يكذب في قوله أو خدن شرف يمين في حديثه أو أخي بصيرة يفتعل في قضيته أو رب حجى يتقول فيما يقول استقباحاً منهم لتلك الشنعة المذهبة للاعتبار المزيحة لماء الوجه المسقطة لمنصة الاعتماد، وأقبح مصاديق الفرية والافتعال إذا كان على لسان صاحب الشريعة أو من يحذو حذوه من خلفاء المعصومين (ع) فإن فيه علاوة على القبح الذاتي ادخال ما ليس من الشريعة فيها، وهذا هو التشريع المحرم والبدعة التي لا تقال عثرتها إن تعلق الكذب بحكم من أحكام الشريعة .

Books.Rafed.net

وإن كان الكذب في ثناء رجل لا يستحقه ففيه إغراء بالجهل وإن كان في نسبة الفاحشة إلى مؤمن فذلك إيذاء وهتك الستر .

وأشد أفراد الكذب إذا كان وقيعة في الذرية الطاهرة آل الرسول (ص) الذين شاء لهم المولى سبحانه حسن السمعة وشرف المخبر وهو أجر الرسالة الذي صدر الأمر به ﴿**قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى**﴾[1] فإنه عام لسائر أفراد الذرية تكريماً لصاحب الدعوة الإلـٰهية وتمريناً للملأ الديني على البخوع لعامة بنيه ، وردعاً للأغرار منهم عما لا يليق بساحة سلفهم وشرفهم الوضاح .

وقد عرفت الحديث عن النبي (ص) في إكرام أولاده : الصالح لله والطالح له وأن الولد العاق يلحق بالنسب ، كما عرفت أن السياسة القاسية في العهد الأموي والعباسي استهوت رجالاً جرهم الطمع إلى استنزاف ما في أيدي القوم من الثراء المتدفق ، فدسوا في الأحاديث خزايات تندى منها جبهة الإنسانية قصدوا بها الحط من مقام البيت العلوي عن مستوى الفضيلة فانطلت تلكم المخازي على الأجيال المتأخرة فحسبوها مروية عن صاحب الرسالة ، وعن عظماء الصحابة أو أنها من القضايا والحوادث التي لها نصيب من مستوى الحقيقة .

ومن هنا وضع العلماء علم الرجال ليتميز أولئك الدساسون من غيرهم ، وإن محاورة الحتات بن يزيد أبو منازل مع معاوية تفيدنا فقهاً بما عليه ابن هند من بذل الأموال لمقاصده وغاياته ضد أهل البيت ، فإنه وفد مع الأحنف وجارية بن قدامة على معاوية فأعطى معاوية كلاً من الأحنف وجارية مائة ألف وأعطى الحتات سبعين ألفاً فعتب عليه حيث أنقصه عن صحبه ، فقال معاوية : إني اشتريت

---

(١) سورة الشورى ، الآية ٢٣ .

Books.Rafed.net

منهم دينهم ووكلت إلى رأيك في عثمان فقال الحتات : فاشتر مني ديني مثلهم فأتم له الجائزة[١] .

وسمع الأحنف رجلاً يقول لمعاوية لو لم تول يزيد أمور المسلمين لأضعتها ، فعتب عليه ، فقال الرجل : إني أعلم أن شر من خلق الله هذا وابنه ولكنهم استوثقوا من هذه الأموال بالأقفال[٢] .

وعلى هذا فهل ترى هؤلاء إلى أمثالهم يتورعون عن موافقة الخلفاء بافتعال أحاديث وقضايا توافق رغباتهم ، وهل يمكن للكاتب الركون إليهم في نقل الحقائق ، وقد عرفت حديث (مقاتل) الذي ملئت الطوامير بمروياته مع المنصور فإنه قال له : إذا شئت وضعت أحاديث في فضل العباس ولك[٣] .

إني لا أستغرب من هؤلاء الرواة المتروكة أقوالهم بنص علماء الرجال إذا تحدثوا بما سولت لهم نفوسهم مما دب ودرج ، وإنما الغريب من مؤرخ يزعم أنه يتحرى الحقائق ثم يستند إلى المتفكهين بقذف المسلمين المحبين لإشاعة الفاحشة .

ولم يغب عنه ما في تدوين هذه المفتريات من الخروج على قدس الكتاب المجيد المانع من هتك ستر المؤمن ونسبة القبيح إليه وكيف يغيب عنه ، وكل مسلم يقرأ نهاره وليله قوله تعالى : ﴿**إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون**﴾[٤] .

---

(١) الطبري ج٦ ، ص١٣٥ .
(٢) ابن خلكان بترجمة الأحنف .
(٣) تاريخ بغداد ج١٣ ، ص١٦٧ .
(٤) سورة النور ، الآية ١٩ .

Books.Rafed.net

والسر فيه أن كشف العوار يوقع النفرة بين الناس ويؤول إلى التباغض ويفت في عضد الاجتماع ويفك عرى الوئام ويؤدي إلى اختلال النظام ، ولهذا حرم سبحانه وتعالى (الغيبة) التي هي ذكر الشخص بما يكره و(النميمة) وهي السعاية بين الاثنين بنقل قول السوء من كل منهما للآخر وهكذا ما يجري مجراهما من المحرمات المنافية لحرمة المؤمنين الملقحة للعداوة بينهم المقلقة للسلام .

وفي الحديث عنه (ص) : لو تكاشفتم لما تدافنتم[1] فإن النكتة فيه أن كشف السرائر وإيقاف الناس عليها يوجب النفرة والمباينة والاستثقال حتى من دفنه وتشييعه ولو يشاهده عرضة للكلاب .

فإشاعة الفاحشة كما يستوجب تلك الأمور أيضاً يضاد الإرادة الإلٰهية المستتبعة لرأفة المولى تعالى ولطفه وكراهته للفتن والشرور ونشوب الإحن فالمرتكب لها محارب لله تعالى غادر لحقوق الناس بتلك المغبات الوخيمة وللتحفظ عن هذه الشائنة لم يكتف المولى سبحانه بالوعيد الأخروي حتى أضاف إليه العقاب الدنيوي ، وهو الحد إن كان قذفاً بالزنى واللواط والسحق ، والتعزير إن كانت الفاحشة المذاعة في الناس قذفاً بغير ذلك فقال تعالى : ﴿**لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة**﴾ ثم نبه جلَّ شأنه على شيء دقيق فقال ﴿**الله يعلم**﴾ ما تكنه الضمائر من المحبة لإشاعة الفاحشة واظهار ما يريد الله ستره «وأنتم لا تعلمون» ما يترتب على ذلك من الخطر والفساد .

فالنهي عن إشاعة الفاحشة كما يتوجه إلى الرواة يشمل من يدون أقوالهم من دون تثبت في النقل فيرسلها في كتابه لأغراض

---

(١) تهذيب كامل المبرد ج١ ، ص٥٤ ، وعيون أخبار الرضا للصدوق ص٢١٦ ، والأمالي للصدوق ص٢٦٧ مجلس ٦٨ .

Books.Rafed.net

دنيوية وشهوات نفسانية ، وهذا جهل وطغيان فإن المولى الجليل القابض على أزمة العباد القادر على الانتقام منهم عند التمرد على قدسه ومخالفة أمره ونهيه يصفح عنهم ويتلطف عليهم بفيض بره وإحسانه ويخصهم بالخير كله ويثيبهم بالثواب الجزيل تجاه عمل ضئيل ، ويصفح عن المآثم الكبيرة طيلة عمر العبد إن صدرت «التوبة» من صميم الخاطر والندم على ما فرط في جنب الله تعالى والعزم على أن لا يعود إلى مثله ، اللهم إلا أن يغتصب العبد حقوق الناس فالتوبة عنه إما بارضائهم أو إرجاعها إليهم ، وفي الحديث : «لو علم الله تعالى أن عبداً ينيب إليه آخر الدهر لمد في عمره إلى ذلك الوقت»[1] .

وإن تعجب فعجب أن العبد يعصيه وهو في قبضته وفي مستوى قدرته يعيش ويمرح ويسرف ويقترف الآثام ، لكنه سبحانه يفيض عليه نعمه ظاهرة وباطنة لعله يؤوب إلى السعادة ويتوب عما اجترحه من السيئات ، ولو كانت حالة العبد هذه مع أبيه العطوف عليه وأمه الحنون لرفضاه .

فكما أنه جلّ شأنه يحب للمؤمن النعيم الخالد عطاء غير مجذوذ أيضاً يود له بقاء الحرمة بين الناس ، وإسدال الستر على عثراته وهذا هو الجميل في لسان المعصوم «يا من أظهر الجميل وستر القبيح» .

---

(١) شرح الصحيفة للسيد علي خان ص ٣٤٦ روضة ٣٧ .

Books.Rafed.net

Books.Rafed.net

سكينة من ذوي القربى

لقد وضح من جميع ما ذكرناه للمتأمل البصير أن في التحدث عن سكينة بنت الحسين (ع) وأمثالها من أهل هذا البيت الطاهر بما يشين الأخلاق والدين ، كما أنه إشاعة للفاحشة الممنوع منها بنص الكتاب الكريم ، وأحاديث الرسول (ص) فيه خروج على حكم القرآن الناص على مودة القربى .

﴿**قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى**﴾ ولم يخف السر في هذا الحكم لأن سادات هذا العنصر الطاهر لما كانوا منبع أنوار الهداية وعندهم مفاتيح الرشاد ، ومن ناحيتهم ثبتت المعارف الإلـٰهية وبأياديهم الناصعة يهتدي الناس إلى سنن النجاح فرض الله تعالى حبهم المؤدي إلى اتباع تعاليمهم وجعله أجراً للرسالة .

وتعميم الحكم لسائر أفرادهم الذين لم يقطع بانحراف عقيدة أحدهم عما جاء به جدهم الأعظم (ص) لأجل تمرين الملأ الديني على البخوع لعامتهم الحادي إلى سلوك مناهجهم وردعاً للأغرار منهم عما لا يليق بسلفهم وشرفهم الوضاح .

مضافاً إلى ما ورد من الأحاديث الكثيرة بإكرامهم ومساعدتهم على النوائب ودفع الشرور عنهم ، وأن إكرام غير الصالح إنما هو

Books.Rafed.net

لأجل الرسول الأقدس وتكريماً لمقامه (لأجل عين ألف عين تكرم) .

فإذا كانت الحالة هذه في الذرية الطاهرة وإن نقم من بعضهم بعض الأعمال فكيف بالأبرياء منهم الذين لم يسجل العلم اليقيني عليهم ما يشين الدين والأخلاق والمروءة غير أحاديث عرفنا منشأها ومستقاها .

ومن هؤلاء بضعة النبوة سكينة ابنة الحسين فإن الوقيعة فيها بتلك السفاسف التي سجلها أبو الفرج وغيره كان مصدرها آل الزبير وأمثالهم المعروفون بالعداء لأهل البيت (ع) :

أكـرم بعين المصطفى جـدهم ولا تهـن من آلـه أعـــــينا

Books.Rafed.net

سكينة إلى كربلاء

تنص دراسات التربية على تأثير الناشئ بنفسيات البيئة ونزعاتها تكيفها بما جبل عليه رجالات البيت من الطموح إلى الرقيّ في العلم والترفع عن الدنايا ، فالعامل الوحيد لتكيف الناشئ بالصفات الفاضلة أو أضدادها ما يتدارسه أرباب البيت المتربى فيه وليدهم ، ومن الضروري أن يتخذ الخلف طريقة سلفه ويتحرى التخلق بما عليه من ملكات إما أن تأخذ به إلى أعلى مستوى الثقافة أو تنحط إلى هوة الضعة ، وفي الغالب تجد المشاكلة بين الجيل الأول والثاني في المعارف والآداب والصناعات والعادات ، اللهم إلا أن يسود ذلك تطور يغلب تلك المقتضيات .

وإذا فتشنا بيوتات العالم فلا نجد بيتاً يتحرى المناهج الإلـٰهية والسير على ضوء تعاليم الشريعة الخالدة إلا البيت العلوي ، لأنه ضم رجالات العصمة المودع عندهم أسرار التكوين وعلم الطبائع وفقه الشريعة والنظم الاجتماعية منحة من منشىء كيانهم جلّ شأنه ، فمن هذا البيت تؤخذ المعارف ويدرس الخلق الكامل :

بيت علا سمك الضراح رفعة فكان أعلى شرفاً وأرفعا
بيت من القدس وناهيك به محط أسرار الهدى وموضعا
أعزه الله فما تهبط في كعبته الأملاك إلا خضعا

Books.Rafed.net

فكان مـأوى الملتـجي والمرتجي فـمـا أعـز شـأنه وأمنعـا[1]

وإذا كـان أئمـة الهـدى من عـتـرة المصـطفى الذين جـعـلهم الله حـجة على البشر بعـد النبوة يعلـمون الأمة ما فـيه مناجـحهم ويأخـذ بهم إلى سـعـادة الدارين ، فـلا يضنون بمن يتـربى في حـجـورهم من ذكـور وإناث عن إضـاءة الطريق المـوصل لهم إلى الـغايات الـسامـيـة والتنكب عما لا يلائم خطتهم ، ويستحيل على من تغـذى در الإمامة وتربى في حجور الطاهرين ودرس التعاليم الإلـٰـهية الاسفاف مع أهل المجون والأهواء .

والسيدة سكينة حضنتها الحجور الزاكية وتلقت من أبيها سيد الشهداء التعاليم الراقية والآداب الإلـٰـهية ودرست القيم الإسلامية وجارت في المجاهدة والرياضة جدتها الصديقة وعمتها العقيلة حتى حازت أرقى مراتب العبادة التي يرضاها رب العالمين ، ومن هنا منحها الإمام الحجة الواقف على نفسيات البشر ومقادير أعمالهم أرقى صفة تليق بامرأة كاملة تفانت في طاعة الله تعالى وهي «خيرة النساء» .

من هذا وذاك صـحبـهـا «أبي الضيـم» إلى محل شـهـادته في جملة من انتـخبـهم الباري سبحانه دعاة لدينه فـشاهدت بين تلك الثنايا والعـقبات الآيات المنذرة بتدابير النفوس ، وتخـاذل القوم عن نصـر الهدى واجـتـماعـهم على إزهاق نفس ريحانة الرسول (ص) وإراقة «دمه الطاهر» ، وأنهم قادمون على عصبة لا ترقب فيهم إلاً ولا ذمة فلم تعبأ بتلكم الأهوال التي يشيب لها فود الطفل تسليماً للقضاء وطاعة للرحمن عز شأنه .

---

(١) من قصيدة في الصديقة الزهراء للعلامة السيد محمد حسين الكيشوان النجفي .

Books.Rafed.net

وشاهدت أولئك المناجيد مضرجين بالدماء مقطعي الأوصال وبينهم علة الكائنات ومدار الموجودات أبو عبد الله «الحسين» (ع) : وقد مثلوا فيه بكل مثلة .

ووجهوا نحوه في الحرب أربعة السهم والسيف والخطيّ والحجرا

فقابلت تلكم الفوادح برباطة جأش وهدوء بال ، ولولا انخراطها في الاستغراق مع الله تعالى وتفانيها في الطاعة له كما أخبر أبوها الحجة (ع) بقوله : «الغالب عليها الاستغراق مع الله» لانهدّت قواها وساخ صبرها وتبلبل فكرها وفقدت مشاعرها ، ولكنها بالرغم من ذلك لم يرعها ذل الأسر ولا شماتة العدو وتراكم الرزايا وأنين الأطفال وبكاء الفواقد فلم يصدر عنها ما لا يتفق مع الخضوع للاصلح المرضي لله تعالى .

ولو كان «أبي الضيم» يعلم ضعف عزمها وتفكك صبرها لما رافقها إلى محل تضحيته لئلا يتسبب من تلكم الأهوال الوقوع في خطر عظيم .

إن ذلك المشهد الدامي الذي لم يمر على نبي أو وصي وقابله شهيد الدين بصبر تعجبت منه ملائكة السموات كما في نص زيارته ترك الجفون قرحى والعيون عبرى والقلوب حرى إلى يوم الانقضاء على حد تعبير الإمام أبي الحسن الرضى (ع)[1] ويقول رسول الله (ص) إن لقتل الحسين حرارة في قلوب المؤمنين لا تبرد أبداً[2] ، والسيدة سكينة أبصرت كل ما جرى في ذلك اليوم وسمعت صرخة أبيها المظلوم واستغاثته ، وشاهدت حرائر النبوة ومخدرات الإمامة

---

(١) أمالي الصدوق ص٧٦ مجلس ٢٧ .

(٢) مستدرك الوسائل ج ص٢١٧ .

Books.Rafed.net

يتراكضن في تلك البيداء المقفرة حيث شبت النار في مضاربهم ولا محامي يلذن به إلا زين العابدين وقد انهكته العلة .

فلو أن أيوباً رأى بعض مـا رأى لقـال بلى هذا العظيـمـة بلواه

فلم يتضعضع صبرها ولا وهى تسليمها للقضاء الجاري ولم يتحدث المؤرخون عما ينافي ثباتها على الخطوب في الكوفة والشام مع ما لاقته من شماتة ابن مرجانة وابن ميسون ونكته بالعود رأس الحسين ، وأهل المجلس يشاهدون الأنوار تتصاعد من أسارير جبهته والروائح العطرة تفوح منه وهو يرمق حرمه بعينيه ، ولما أمر يزيد بقتل رسول ملك الروم لأنه أنكر عليه فعلته نطق الرأس المقدس بصوت جهوري ﴿**لا حول ولا قوة إلا بالله**﴾[1] .

فأخذت الناس الحيرة وراح الرجل يحدث جليسه بالضلال الذي عمهم ، وتحدثت أندية الشام بهذا الحادث الذي لم يسمع بمثله قبل يوم الحسين ، ولما رجعت السيدة الطاهرة سكينة إلى المدينة أقامت في بيت أبيها أبي عبد الله مع نساء قومها لابسات السواد يبكين الحسين والبهاليل من آل عبد المطلب وزين العابدين يعمل لهن الطعام[2] .

ويحدثنا أبو عبد الله الصادق (ع) عن حزن الفاطميات بقوله : ما اكتحلت هاشمية ولا اختضبت ولا رئي الدخان في بيت هاشمي خمس حجج إلى أن قتل عبيد الله بن زياد[3] .

---

(١) مقتل الحسين أو حديث كربلاء ص١٥ الطبعة الثانية ، وفيه ص٤٠١ ذكرنا أسرار كلام الرأس المقدس .
(٢) المحاسن للبرقي المتوفى سنة ٢٧٤ ج٢ ، ص٤٢٠ .
(٣) البحار للمجلسي المتوفى سنة ١١١٠ ج١٠ ص٢٩٣ طبع الكبيني إيران .

Books.Rafed.net

عاشت السيدة سكينة في بيت أخيها السجاد (ع) الذي لم يزل ليله ونهاره باكي العين على سيد شباب أهل الجنة ، وكان جوابه لمن يطلب منه التخفيف لئلا تذهب عيناه : إني ما نظرت إلى عماتي وأخواتي إلا تذكرت فرارهن من خيمة إلى خيمة وكان هذا دأبه في البكاء على «قتيل العبرة» إلى أن استشهد صلوات الله عليه سنة ٩٥ ، وإذا كان عميد البيت لا يفتر عن النياحة مدة حياته فما ظنك بمن حواه البيت من النساء ومن شأنهن الرقة والجزع ، والسيدة سكينة تأوي هذا البيت المفعم بالحزن والشجاء وفي مسامعها نشيج أخيها الحجة وتبصر تساقط دموعه على خديه فتشاركه في الزفرة وتجاوبه بالعبرة ولا تبارح فاكرتها الهياكل المضرجة بالدماء وقد شاهدتهم صرعى مقطعي الأوصال .

قد غير الطعن منهم كل جارحة إلا المكارم في أمن من الغـــير

فهل تبقى لها لفتة إلى لوازم الحياة فضلاً عن عقد مجالس الأنس والفرح بل كانت السيدة العفيفة مدة حياة أخيها الإمام وبعده باكية نادبة على أبيها المظلوم الممنوع من الورود وأبو عبد الله حياة الكون وري الوجود (والماء يصدر عنه الوحش ريانا) .

ولكن آل الزبير تحدثوا وافتعلوا وأكثروا **﴿فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون﴾**[1] .

---

(١) سورة الزخرف ، الآية ٨٣ .

Books.Rafed.net

Books.Rafed.net

الغناء تحت الحكم

لا ريب في حرمة الغناء في الشريعة الإسلامية وهو الصوت المشتمل على الترجيع والطرب سواء انظمت إليه آلاته أو كان مجرد الصوت المهيج ، ولا فرق بين أن يقع بالشعر أو غيره وكما يحرم فعله يحرم استماعه وقد دل على حرمته الذاتية وإن لم يقترن بمحرم الكتاب والسنة وإجماع المسلمين ، وفي الكتاب آيات ثلاث فسرتها السنة بذم الغناء وحرمته وتبكيت فاعله ففي الحج/ ٣٠ ﴿**واجتنبوا قول الزور**﴾ وفي لقمان/ ٦ ﴿**من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله**﴾ وفي الفرقان/ ٧٢ ﴿**والذين لا يشهدون الزور**﴾ واتفقت تفاسير الشيعة الحاكية قول أبي عبد الله الصادق (ع) على أن المراد من الزور ولهو الحديث هو الغناء ولم يتباعد عنه المفسرون من أهل السنة ففي تفسير الآلوسي روح المعاني ج١٩ ص٥١ وج٢١ ص٦٧ ، وتفسير ابن كثير ج٣ ص٣٢٨ ، وتفسير الخازن ج٥ ص٩١ ، وأسباب النزول للواحدي ص٢٦٠ أن لهو الحديث والزور هو الغناء ، وقال الآلوسي : لهو الحديث ذم للغناء بأعلى صوت .

وأما السنة ففي مفتاح الكرامة في المكاسب المحرمة عند ذكر حرمة الغناء قال : وردت خمس وعشرون رواية صحيحة ،وفي الجواهر أنها متواترة عن السجاد والباقر والصادق (ع) دالة على حرمة الغناء مطلقاً ،

Books.Rafed.net

وإن لم يقترن بمحرم ولفظها : الغناء عش النفاق ، ومن الكبائر والبيت الذي يغنى فيه لا يؤمن من الفجيعة ولا يجاب فيه الدعاء ولا يدخله الملك ، ولا ينظر الله بالرحمة إلى من اجتمع في مجلس الغناء ، وينزع الله الحياء عن المغني فلا يبالي بمقاربة أهله الرجال ، والمستمع للغناء شريك مع المغني في الإثم ، والمغنية ملعونة وكسبها حرام .

وبمثله وردت أحاديث أهل السنة المروية في مسند أحمد ج٥ ص٢٦٤ وص٢٦٨ ، وفي كنز العمال ج٧ ص٣٣٧ .

ويتحدث الكليني في الكافي باب الغناء أن رجلاً قال لأبي عبد الله الصادق إني أدخل الكنيف ولي جيران عندهم جوار يتغنين ويضربن بالدف فربما أطلت الجلوس لاستماعهن فقال : لا تفعل ، قال الرجل : إنما هو سماع بأذني ، قال أبو عبد الله (ع) : أما سمعت قول الله عز وجل : ﴿**إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً**﴾[1] قال : بلى ، قال : استغفر الله واغتسل وصل ما بدا لك لأنك كنت على أمر عظيم ما أسوأ حالك لو مت على هذا فاسأل الله التوبة من كل ما يكره فإنه لا يكره إلا كل قبيح والقبيح دعه لأهله فإن لكل شيء أهلاً ، ومن هنا أجمع الإمامية على حرمته كما في الحدائق ، والمستند ، وفي الجواهر أنها من ضروريات المذهب .

وأما فقهاء السنة فحكى الآلوسي تضافر الآثار وكلمات كثير من العلماء على حرمة الغناء لا في مقام دون مقام وعن التتارخانية حرمته في جميع الأديان ، وحكى عن أبي حنيفة حرمته ، ونقل صاحب الذخيرة تحريمه عن جمع من الحنابلة[2] ، وقال شيخ الإسلام

---

(١) سورة الإسراء ، الآية ٣٦ .

(٢) روح المعاني ج٢١ ص٦٧ .

Books.Rafed.net

المرغيناني ، الحنفي نهى رسول الله عن الصوتين الأحمقين النائحة والمغنية ولا تقبل شهادة المغنية[١] ، وقال الكاساني الحنفي : مجرد الغناء واستماعه معصية والتغنية صفة محظورة لكونها لهواً وشرطها يوجب فساد البيع ، والغناء في الجواري عيب[٢] ، وحكى ابن تيمية عن ابن المنذر أنه نقل الاتفاق على حرمة الغناء مطلقاً وإبطال إجارة المغنية[٣] ، وقال ابن مفلح الحنبلي حرم جماعة الغناء ، وحكى القاضي عياض الاجماع على كفر مستحله[٤] ، وقال ابن قدامة الحنبلي حرمه بعض الحنابلة ، وقال أحمد : إنه ينبت النفاق فلا يعجبني[٥] ، واختار الشيخ أحمد الرملي حرمته مطلقاً[٦] ، ونقل السهروردي عن الأئمة الأربعة أنهم حرموا الغناء[٧] ، وكرهه مالك[٨] .

ومن هنا يتجلى للقارئ أن الشريعة المطهرة حرجت على من يدين بها التباعد عن ارتكاب هذه الصفة الممقوتة للمولى سبحانه وتعالى حتى أسقطت منزلة مرتكبها بين الناس ، فلا تقبل شهادته على جليل وحقير ، ولا يؤتم به في الصلاة ، ولا يقدم للاستسقاء ، والواجب على كل مسلم ردع من يرتكب الغناء أو يسمعه ﴿**ولتكن**

---

(١) الهداية في فقه الحنفية ج٣ ص٩٠ .
(٢) بدائع الصنائع ج٥ ص١٢٩ وص١٦٩ .
(٣) مختصر الفتاوى الكبرى المصرية ص٣٨٨ .
(٤) الفروع ج٣ ، ص٩٠٣ .
(٥) المغني ج٩ ، ص١٧٥ .
(٦) الحديقة الندية للشيخ عبد الغني الطرابلسي ج٢ ص٢٥٣ .
(٧) مناقب ابن أبي حنيفة للبزاز في ذيل مناقبه للخوارزمي ج١ ، ص ١٧١ .
(٨) المدونة الكبرى لمالك ج٣ ص٣٩٧ كتاب الإجارة .

Books.Rafed.net

منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾[1] .

وكما منعت الشريعة من ارتكابه أوقفت من يدين بها عن الطعن فيمن آمن بالملة ولم يخرق ناموسها الأكبر ، وفرضت تأديب من يطغو على مكانة المسلم ويعبث بقدسيته كما أمرته بالكف والسكوت عن الطعن في الناس خصوصاً إذا لم يحصل له الوثوق بهتكهم حجاب الشريعة فقالت : ﴿**إن الظن لا يغني من الحق شيئاً﴾**[2] ﴿**ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً﴾**[3] .

وعلى هذا فالسيدة سكينة بنت الحسين (ع) بعد أن كانت متدينة بقانون جدها الأعظم (ص) لأنها في عداد المسلمين الخاضعين لكل ما جاء به نبي الإسلام عن الوحي المبين ، فلا يسوغ لأي مسلم التفوه في حقها بما يخرجها عن صراط الشريعة ما لم يثبت بطريق واضح لا تعكر فيه ، فإن من قال في مسلم كلمة هجر فقد خرق ستر الله[4] ، وإيذاء المسلم أذى لرسول الله ، ومن آذى رسول الله آذى الله تعالى[5] .

وأحاديث الغناء التي سجلها أبو الفرج على هذه الحرة العفيفة مروية عن آل الزبير الذين عرفت عداوتهم لآل علي (ع) وتهجمهم

---

(١) سورة آل عمران ، الآية ١٠٤ .
(٢) سورة يونس ، الآية ٣٦ .
(٣) سورة الإسراء ، الآية ٣٦ .
(٤) الأدب المفرد للبخاري ص٦٤ .
(٥) الجامع الصغير للسيوطي ج٢ ص١٥٧ .

Books.Rafed.net

على مقدساتهم بكل ما لديهم من حول وطول مع أنه لم يأت أثر يشهد بتعديها على نواهي أخيها زين العابدين ، فإنها كانت تساكنه في بيته ونظراته الرحيمة تلحظها ليلاً ونهاراً ، وبعده كانت في كنف الإمام أبي جعفر الباقر وابنه أبي عبد الله الصادق (ع) فهل يتصور أحد أن الأئمة ينهون الناس عن مزاولة الغناء ، ويقول الصادق (ع) لمن كان يستمعه وهو في (المرحاض) : ما أسوأ حالك لو أتاك الموت وأنت على هذا الحال ، ثم يذرون بناتهم ونساءهم مع الهوى ـ كلا ـ إنه طغيان على حرماتهم وتعدّ على مقام الخلافة الإلـــهية ﴿وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾ .

Books.Rafed.net

Books.Rafed.net

الشعراء

لقد جاء صاحب الأغاني بمنقصة تأباها الغيرة والشهامة حسبها القاصر فضيلة رابية أتحف بها خفرة من بنات الرسالة وتبعه من جاء بعده بحجة أن لها المعرفة في الأدب وقوة العارضة في نقد الشعر وقد غفلوا عن مناقشة الحساب عندما يوقفون في محكمة التحقيق .

فروى أبو الفرج عن المدائني وعن أبي عبد الله الزبيري اجتماع الشعراء في بيت سكينة للضيافة واختصموا عندها في المفاضلة بين جرير والفرزدق وكثير والأحوص وجميل ونصيب وأنها جلست في مكان تراهم ولا يرونها ، وأنها أخرجت وصيفة لها روت الأشعار فكانت الوصيفة تلقي على سكينة شعر كل واحد منهم وترجع إليهم بما تعيبه سيدتها[1] .

وأنت إذا قرأت حكم ابن حجر العسقلاني على المدائني بأنه من موالي عبد الرحمن بن سمرة الذي هو من صنائع معاوية وفي عداد عماله[2] يسعك الحكم بأنه لا يتخطى سيرة مولاه ولا من اصطنعه ، ومن هنا شحنت الجوامع بمروياته الشائنة لمقام رجالات أهل

---

(١) الأغاني ج١٤ ، ص ١٤٥ إلى ص١٦٧ .

(٢) لسان الميزان ، ج٤ ، ص٢٥٣ .

Books.Rafed.net

هذا البيت الطاهر فنسب إلى عبد الله بن جعفر الطيار كلمة تحط من قدره ودينه ، وان صبها في قالب الفضيلة فذكر أن العجوز التي ذبحت الشاة للحسنين وكان معهما ابن جعفر ولما شاهدها الحسن بالمدينة أمر لها بألف شاة وألف دينار وأعطاها الحسين مثله وقال لها ابن جعفر : لو بدأت بي لأتعبتهما[1] .

فإن كل من يقرأ سيرة ابن جعفر مع إماميه الحسنين وخضوعه لهما يتجلى له افتعال هذا الحديث ومحاورته مع معاوية تؤكده ، وذلك يوم أراد إغراءه بالمدح البالغ حده ليفصله عن متابعة الحسنين (ع) فأوقفه ابن جعفر على ما سمعه من رسول الله (ص) في فضلهما وأنهما إماما هذه الأمة بعد أبيهما الوصي وأن الله تعالى أفاض عليهما القدرة بالتصرف في الأشياء كما يريدان[2] .

وإني على يقين في افتعال كل ما ورد في حق عبد الله بن جعفر من أحاديث الكرم ، وما أدري من أين له هذه الأموال الطائلة مع أنه مملق وأبوه أفقر منه فلا إقطاع عنده ولا عيون ولا من التجار المثرين ، وإنما أراد ابن هند في وضع هذه القصص إيجاد شخص من الطالبيين يضاهي أبا محمد سيد شباب أهل الجنة الذي وقف النائل عليه وحده ، ومما يشهد لهذه الدعوى سعي معاوية في اثبات الكرم لعبيد الله بن العباس بن عبد المطلب ذلك الذي ترك قيادة أربعة آلاف جندي وهمس ليلاً إلى معكسر ابن هند طمعاً في دراهم

---

(١) لباب الآداب للأمير أسامة بن منقذ ص١٠٦ ، وثمرات الأوراق على هامش المستطرف ج٢ ، ص١٩ ، باب ٤٦ ، والفصول المهمة لابن الصباغ ص١٦٥ . .

(٢) الاحتجاج للطبرسي ص١٥٤ النجف .

Books.Rafed.net

معدودة وترك الدنيا والآخرة المملوكتين لأبي محمد (ع) عطاء من الله غير مجذوذ ، في حين لم يغب عنه «ذبح طفليه» على يد بسر ابن أرطأة قائد معاوية؟ فأين هذا والجود الذي هو شيمة الأحرار وغريزة الطاهرين[1] .

وأما عبد الله الزبيري فلم يغب عن القارئ شهادة العلماء بمعاداته لأهل البيت وأنه يضع المنكرات فيهم فرواياته أوهى من بيت العنكبوت ، على أن المبرد[2] وابن قتيبة[3] ذكرا اجتماع الشعراء عند عبد الملك بن مروان وتذاكرهم بيت نصيب :

أهيم بدعد ما حييت فإن أمت أوكل بدعد من يهيم بها بعدي

فأزرى كلهم على نصيب فقال لهم عبد الملك : ما تقولون؟ فقال أحدهم أقول :

أهيم بدعد ما حييت فإن أمت فيا ليت شعري من يهيم بها بعدي

فقال عبد الملك : أنت أسوأ رأياً من نصيب فقالوا فما كنت تقول أنت يا أمير المؤمنين؟ قال أقول :

أهيم بدعد ما حييث فإن أمت فلا صلحت دعد لذي خلة بعدي

فقالوا أنت أشعر الثلاثة يا أمير المؤمنين .

ويحدث المرزباني[4] أن الأقيشر دخل على عبد الملك بن مروان فعاب بيت نصيب وهو :

---

(١) قصص العرب ج١ ، ص٢١٠ ، وص٢١١ .
(٢) تهذيب كامل البرد ج٢ ، ص١٥٠ .
(٣) عيون الأخبار ج٤ ، ص١٤٦ .
(٤) الموشح ص١٨٩ .

Books.Rafed.net

أهيم بدعـد ما حييت فإن أمت فواحزني من ذا يهـيم بهـا بعـدي

فقال له عبد الملك : ما كنت تقول أنت؟ فقال أقول :

تحـبكم نفـسي حيـاتي فـإن أمت فلا صلحت دعد لذي خلة بعـدي

ثم ذكر المرزباني نقد الفرزدق على الأحوص إذ يقول :

يقــرّ بعــيني مــا يقــرّ بعــينهــا وأحـسن شيء مـا به العين قـرَّت

فقال له إنه يقر بعينها النكاح أيقر ذلك بعينك[1]؟ .

ثم إن ابن كثير ذكر اجتماع الشعراء عند عمر بن عبد العزيز وهم : الفـرزدق وجرير وعمـر بن أبي ربيعـة والأحوص وتفـاضلهم ونقده لهم[2] .

فـالمفـاضلة بين الشـعراء كـانت عند عـبـد الملك أو عـمـر بن عبد العزيز ولكن المرواني أبا الفرج زحزحها إلى ناحية السيدة سكينة تحرياً للوقيعة بمصونات البيت الهاشمي بيت الشهامة والعفاف بيت الحجاب والغيرة ، وقد ظن أبو الفرج أن هذه المفتعلات مما يخفى مصدرها حتى في العصور المستنيرة بالبحث والتدقيق ، وقد كان المصـدر في هذا الحـديث المدائني الذي ذكـرنا توقف العلمـاء عن مروياته ، ثم هناك شيء يرشدنا إلى كذب هذه المحاكمة عندها هو : أن أبا الفرج لم يذكر لها بيتاً في الأدب والعرفان ولو كانت سكينة بهذه المنزلة المزعومة لها من قوة العارضة والنقد لكثر منها الشعر كما كان لغيرها من رجال ونساء ، ولدوّنه أبو الفرج كما سجل لغيرها .

---

(١) المصدر ص١٨٧ .

(٢) البداية ج٩ ، ص٢٦٢ .

Books.Rafed.net

بيت الضيافة

على أنا لا نعرف هذا البيت الذي فتحته لضيافة الوافدين عليها متى كان؟ أفي العهد الذي كانت فيه ذات أزواج «لو تحققت الأوهام» وهم يرضون لها محادثة الرجال الأجانب وكانوا يدرون عليها المال لتنفقه عليهم؟ أو أنها كانت تنفق على الأضياف وتجيز الشعراء من مالها الخاص بها؟ الذي لم يرد به تأريخ أصلاً أو أن الإمام السجاد أو الباقر يفيضان عليها المال لتنفقه على الأجانب .

ثم لماذا فتحت هذا المضيف والمرأة لا تمدح بالكرم وإنما تمدح بالصون والعفاف ، ولم يعهد في النساء الهاشميات نظير لها في ذلك حتى من سيدة النساء فاطمة الزهراء وابنتها عقيلة الهاشميين زينب الكبرى والمعصومة فاطمة بنت الإمام موسى بن جعفر (ع) وحكيمة بنت الإمام أبي جعفر الجواد (ع) إلى غيرهنّ من فضليات نساء بني هاشم وكل منهن أجلّ من سكينة وأقدر على الانفاق والعطاء ولو بنحو من خوارق العادات .

أكانت سكينة متفردة عن حرائر قومها بالرغم مما تقرأه من الانكار البالغ حده من جدها أمير المؤمنين (ع) في أمر المرأة فيقول في وصيته للإمام المجتبى :

Books.Rafed.net

إياك ومشاورة النساء فإن رأيهنّ إلى أفن وعزمهنّ إلى وهن واكفف عليهن من أبصارهن بحجابك إياهن ، فإن شدة الحجاب أبقى عليهن وليس خروجهن بأشد من إدخالك من لا يوثق به عليهن ، وإن استطعت أن لا يعرفن غيرك فافعل ، ولا تمكن المرأة ما جاوز نفسها فإن المرأة ريحانة وليست بقهرمانة[1] .

فإن التأمل في أطراف كلامه (ع) يوقفنا على الحكم بالإلزام المرأة بيتها وإسدال الستر عليها لأنه أحفظ في الصون وأمنع من طروق ما لا يحل بساحتها مما يقبحه العقل والعرف والدين والغيرة .

وزاد (ع) في أمرها أن أمر بكف أبصارهن عن النظر إلى الغير ، وأن لا تخرج من بيتها ولا يدخل عليها الرجال لما فيه مظنة الوقوع في الهلكة وارتكاب الفتنة كما وقعت فيها امرأة العزيز ونسوة مصر اللائي قطعن أيديهن حين شاهدن جمال الصديق يوسف (ع) .

وأندية أهل البيت تلهج بقول الرسول (ص) لأم سلمة وزينب حين دخل ابن أم مكتوم فلم يحتجبن عنه واعتذرن بأنه أعمى : (أفعمياوان أنتما)[2] .

وهذا من المرتكزات في نفوس ذوي الغيرة والشهامة من غير هذا البيت فكيف بأهله .

يقول إسحاق بن أحمد بن نهيك : شاهدت رجلاً في طريق مكة وعديله جارية في المحمل وقد عصب عينيها وكشف الغطاء عن وجهها ولما قيل له في ذلك كان جوابه : (إنما أخاف عليها عينها لا

---

(١) نهج البلاغة ج٢ ص٥٨ المطبعة الرحمانية في مصر من وصيته الطويلة لولده .
(٢) تفسير الخازن ج٥ ، ص٥٧ وتفسير البغوي بهامشه .

Books.Rafed.net

عيون الناس)[1] .

وإذا كان هذا أمر الشريعة في الحكم على المرأة وبه هتف سيد الأوصياء (ع) وقام بتنفيذه أبناؤه المعصومون فهل يدور في خلد أي أحد أن الأئمة الهداة غضوا النظر عما تأتي به خفرة من نسائهم وهي في كنفهم وبعين رعايتهم ، أو أن ابنة سيد الشهداء (ع) مائلة عن الصراط السوي متنكبة جادة الحق بحيث لم يقدر أولئك المعصومون المقيضون لهداية البشر على كبحها عن هذه الشرور (كلا) .

وإن كلمة سيد شباب أهل الجنة الغالية في حق ابنته : (الغالب على سكينة الاستغراق مع الله) ووصفه لها بخيرة النساء .

ترشدنا إلى قوة الإيمان واعتناقها صحيح الحق والدين .

لكن السياسة قاضية والأقلام مستأجرة والحنق مالك لقلوب الشانئين لأهل البيت فقالوا كما شاء لهم الهوى وأوقعوا غيرهم ممن لم يمحص الحقائق في هوة الضلال .

ثم إن قول أمير المؤمنين (ع) : «لا تملك المرأة من أمرها ما جاوز نفسها» يحصر الانفاق عليها بما يفي بمناجحها ويسد خلتها كيلا تتجاوز الحدود في صرف المال فيما لا يلائم صيانتها وعفافها وكذلك يحصر تمكينها بما تقدر عليه من إدارة شؤونها بدليل تعليله (إنها ريحانة) يتمتع بها ويلتذ بالألفة معها (لا قهرمانة) تقوم بتدبير الشؤون وإقامة المصالح والحكم بين المتخاصمين ولقد أكد (ع) ذلك مرة أخرى لما أتاه رجل من أصحابه وشكا إليه نساءه فإنه قال :

---

(١) عيون الأخبار لابن قتيبة ج٤ ، ص٨٧ .

Books.Rafed.net

معاشر الناس لا تطيعوا النساء على حال ولا تأمنوهن على مال ولا تذروهن يدبرن أمر العيال فإنهن إن تركن وما أردن وردن المهالك وعدون أمر المالك فإنا وجدناهن لا ورع لهن عند حاجتهن ولا صبر لهن عند شهواتهن التبرج لهن لازم وإن كبرن ، والعجب لهن لاحق وإن عجزن ، لا يشكرن الكثير إذا منعن القليل ، ينسين الخير ويحفظن الشر ، يتهافتن بالبهتان ويتمادين بالطغيان ويتصدين للشيطان ، فداروهن على كل حال وأحسنوا لهن المقال لعلهن يحسنّ الفعال[1] .

وهذه دروس من خليفة الرسول (ص) راقية تأخذ بمن يعطيها حقها إلى النعيم الدائم وزلفى الأبد والسعادة الخالدة ، وأولى الأمة باعتناقها والسير على ضوئها أبناؤه الهداة بتطبيقها على من تحويه بيوتهم المنيعة من أبنائهم وفتياتهم . سأل رسول الله ابنته الصديقة الزهراء (ع) عما هو خير للمرأة ، فقالت : خير للمرأة ألا يراها رجل ولا ترى رجلاً ، فضمها رسول الله إليه ، وقال : «ذرية بعضها من بعض»[2] .

على أنا وجدنا في أخبار النساء العاديات من تغار على نفسها من الاختلاط بالأجانب إما خضوعاً منهن لناموس الدين أو جنوحاً إلى غريزة العفة ، فمن ذلك أن امرأة عربية كانت عند بعض القرشيين فدخل عليها خصي لزوجها وهي واضعة خمارها فحلقت شعر رأسها وقالت : ما كان ليصحبني شعر نظر إليه غير ذي محرم .

ومرت امرأة عربية بقوم من بني نمير فأداموا النظر إليها فقالت : يا بني نمير والله ما أخذتم بواحدة من اثنتين لا بقول الله تعالى إذ

---

(١) الصدوق (فيمن لا يحضره الفقيه) .

(٢) قوت القلوب لأبي طالب المكي ج٢ ، ص٢٥٣ فصل ٤٥ في التزويج .

Books.Rafed.net

يقول : ﴿**قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم**﴾[1] . ولا بقول جرير[2] .

فـــغضَّ الطرف إنك من نميـــر فـــلا كـعـبـاً بلغت ولا كـــلابا

ودخل خـادم على سكينة بـنت أميـر المؤمنين علي بـن أبي طالب فـغطت رأسـهـا منه فـقـيل لـهـا : إنه خـادم . قـالت : هو رجل منع شهـوته[3] ، ومن المقطوع به أن سكينة هـذه ابنة الحسين فإن أهل النسب وعلماء التاريخ لـم يذكروا في أولاد علي بن أبي طالب سكينة .

ودخل معاوية على زوجته فاختة ومعه خصي وكانت مكشوفة الرأس فلما رأته غطت رأسها ، فقال لها معاوية : إنه خصي ، فقالت له : أترى أن المثلة به أحلت له ما حرم الله عليه ، فعلم الحق معها فلم يجز لخادم الدخول إلى حرمه إن كان كبيراً[4] .

فإذا كان هذا مبلغ من أخذت غريزة العفة منها منتهاها فابنة الإمامة وربيبة الدين أجدر باتباع هذه التعاليم المقدسة أو الخضوع لهاتيك الغريزة فلا تبيح للرجال الدخول إلى دارها ولا تقترب من مجالسهم وتنبسط إليهم لا يوم يضمها بيت الإمامة ولا يوم يحويها عفاف الأزواج (لو صدقت المزاعم) .

وكيف تتنكب سكينة عن سنن جدها الرسول (ص) وتعاليم خليفته أمير المؤمنين (ع) وهي المتربية في بيت أخيها الإمام زين العابدين وابنه الباقر (ع) والمتأدبة بالآداب الإلـٰهية وهي بعين رعايتهم

---

(١) سورة النور ، الآية ٣٠ .
(٢) ابن قتيبة في عيون الأخبار ج٤ ، ص٨٧ وص٨٥ .
(٣) أمالي ابن الشيخ الطوسي ص٢٣٣ .
(٤) مروج الذهب للمسعودي ص٤٧٢ .

Books.Rafed.net

ولكن الرواة أبوا إلا الاسترسال وتشويه تلك السمعة الطيبة بما شاء لهم الهوى .

وعلى هذا فاعرف حديث اجتماع الشعراء معها فيما رواه مصعب الزبيري العدو لبني هاشم ولا تذهب بك الظنون أيها الحاذق الفطن .

﴿**ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير**﴾ البقرة/ ١٢٠ .

Books.Rafed.net

شعر عمر بن أبي ربيعة

حدث أبو الفرج عن يونس عن ابن شبة أن إسحاق الموصلي غنى الرشيد بقوله :

قالت سكينة والدموع ذوارف منها على الخدين والجلباب

فغضب الرشيد حتى سقط القدح من يده ونهره وقال : لعن الله الفاسق عمر بن أبي ربيعة ولعنك معه ألا تتحفظ وتدري ما يخرج من رأسك[1] .

وهذا البيت مع أبيات رواها الزجاج[2] من دون إشارة إلى الخلاف الواقع في روايتها ، فإن أبا الفرج مع روايته لها بما عرفت رواها في سعدى بنت عبد الرحمن بن عوف فقال : كانت سعدى بنت عبد الرحمن بن عوف جالسة في البيت الحرام فرأت عمر بن أبي ربيعة يطوف بالبيت فأرسلت إليه إذا فرغت من طوافك فأتنا فأتاها فقالت : لا أراك يا ابن أبي ربيعة صادراً عن حرم الله أما تخاف الله ويحك إلى متى هذا السفه ، فقال لها : دعي هذا عنك أما سمعت ما قلت فيك قالت لا . فأنشدها قوله :

---

(١) أغاني ج١٦ ، ص١٢ . .

(٢) أمالي الزجاج ، ص١٠٣ .

Books.Rafed.net

قالت سعيدة والدموع ذوارف منها على الخدَّين والجلباب
ليت المغيريَّ الذي لم أجزه فيما أطال تصعدي وطلابي
كانت ترد لنا المنى أيامنا إذ لا نلام على هوى وتصاب
أسعيد ما ماء الفرات وطيبه مني على ظمأ وحب شراب
بألذ منك وإن نأيت وقلما يرعى النساء أمانة الغياب

وهذه الأبيات رواها الجاحظ[1] في ابنة عبد الملك بن مروان حين حجت البيت بزيادة أربعة قبلها وسبعة بعدها .

ورجح العلامة الشنقيطي في شرح أمالي الزجاجي ص١٠٤ المطبعة المحمودية بمصر سنة ١٣٥٤ الطبعة الثانية رواية الأغاني في سعدى بنت عبد الرحمن بن عوف على الرواية في سكينة بنت الحسين (ع) ، وقال هذا هو الصحيح وإنما غيره المغنون فجعلوا سكينة مكان سعيدة ، وفي لفظ آخر وسكين مكان سعيد على الترخيم كما أن الحصري أنكر رواية الشعر في سكينة بنت الحسين (ع) وعبارته (كذب من روى هذا الشعر في سكينة (ع))[2] .

---

(١) المحاسن والأضداد ص٢١٢ .
(٢) زهر الآداب ج١ ص١٠١ .

Books.Rafed.net

سكينة بنت الزبير

ومع الغض عن ذلك نقول إن لفظ سكينة في رواية الزجاجي ولفظ سكين في رواية أبي علي القالي في الأمالي[1] لا إشعار فيه على إرادة سكينة بنت الحسين (ع) بل المقصود في شعر ابن أبي ربيعة (سكينة الزبيرية) فإن صاحب الأغاني يروي عن رجاله أن سكينة بنت خالد بن مصعب بن الزبير كانت تجتمع مع عمر بن أبي ربيعة ومعهما ابنته (أمة المجيد) زوجة محمد بن مصعب بن الزبير وجاريتان يغنيان عندهم يقال لأحدهما البغوم وللأخرى أسماء[2] وتزوج سكينة بنت خالد بن مصعب بكير بن عثمان بن عفان فولدت بنتاً يقال لها أم عثمان تزوجها عبد الله العرجي[3] .

ويحدث ابن كثير : أن مصعب بن الزبير أولد سكينة وأمها فاطمة بنت عبد الله بن السائب[4] .

وإذا كان هذا حال سكينة بنت آل الزبير مع عمر بن أبي ربيعة

---

(١) ج٢ ، ص٣٠٥ طبع دار الكتب العربية .
(٢) الأغاني ج١ ، ص٦٧ .
(٣) الأغاني ج١ ، ص١٥٣ .
(٤) البداية ج٨ ، ص ٣٢٢ .

Books.Rafed.net

والجواري المغنيات فمن القريب جداً أن يزحزح آل الزبير ، ومن سار على أثرهم من الرواة هذه الشائنة عن ابنتهم ويلصقوها بمن شابهتها في الاسم خصوصاً مع العداء المحتدم بينهم وبين العلويين ، وقدعرفت فيما مر عليك أن روايات الأغاني في هذا الباب مروية عن الزبير بن بكار ومصعب الزبيري والمدائني والهيثم بن عدي الكوفي الكذاب بنص جماعة من علماء الرجال وهكذا صالح بن حسان وأشعب الطامع إلى غيرهم ممن يفتعل الحديث أو مجهول الحال لا يؤبه بمروياته .

Books.Rafed.net

حديث الصورين

ويتحدث أبو الفرج عن مجلس (الصورين) معتمداً على رواية مصعب الزبيري الذي عرف ببغضه لأهل بيت النبي (ص) وروايته فيما يحط من مقامهم فيقول : اجتمع نسوة فذكرن عمر بن أبي ربيعة وشعره وظرفه ومجلسه وحديثه وتشوقن إليه وتمنينه ، فقالت سكينة : أنا له ، وبعثت رسولاً إليه فوافاهن على رواحله وتحدث معهن إلى أن طلع الفجر فقام لينصرف وقال لهن : والله إني لمحتاج إلى زيارة قبر النبي (ص) والصلاة في مسجده ولكني لا أخلط بزيارتكن شيئاً ثم انصرف إلى مكة من مكانه وقال في ذلك :

ألمم بزينب إن البين قد أفدا قلَّ الثواء لئن كان الرحيل غدا
قد حلفت ليلة الصورين جاهدة وما على المرء إلا الحلف مجتهدا
لأختها ولأخرى من مناصفها لقد وجدت به فوق الذي وجدا[1]

هذا نص ما ذكره في الأغاني وصفق لها غيره ممن أراد الطعن في مقام البيت العلوي ونسب (سكينة) الموجودة في الحديث إلى الحسين (ع) من دون أية قرينة تشهد بهذه النسبة ، فإن العبارة

---

(١) الأغاني ج١ ، ص ٤٥ .

Books.Rafed.net

الموجودة خالية عن نسبتها إلى الحسين (ع) فمن أين صح الحكم على هذه المسماة بهذا الاسم أنها من هذا البيت العلوي فلعلها سكينة ابنة خالد بن مصعب بن الزبير الذي يروي أبو الفرج اجتماعها مع عمر بن أبي ربيعة والجواري يغنين لهم، أو الأخرى وهي سكينة ابنة مصعب التي أمها فاطمة بنت عبد الله بن السائب .

ثم هذا الشعر ورد مطلعه باسم زينب كما ورد مطلعه في ديوان ابن أبي ربيعة باسم أم طلحة عائشة بنت طلحة المخزومي وهي بنت أخت عائشة أم المؤمنين ونص المطلع في الديوان ص١٤٠ :

يا أم طلحة إن البين قد أفدا قلَّ الثواء لئن كان الرحيل غدا
أمسى العراقيّ لا يدري إذا برزت من ذا تطوف بالأركان أو سجدا

وليس في الأبيات اسم سكينة كما ليس في نص الحديث نسبتها إلى الحسين (ع) والباحث في الأغاني لم يجد التصريح بسكينة ابنة الحسين في شعر عمر بن أبي ربيعة أصلاً، وكل ما وجد في لفظ (سكين) أو (سكينة) لم يحصل معه الجزم بأنها ابنة الحسين خصوصاً بعد أن عرفنا من نص الأغاني أن التي تجتمع مع ابن أبي ربيعة هي سكينة بنت خالد بن مصعب الزبيري، ومن هذا الباب ما يرويه أبو علي القالي من قول عمر بن أبي ربيعة[1] :

إنّ طيف الخيال حين ألما هاج لي ذكره وأحدث همّا
جددي الوصل يا سكين وجودي لمحب رحيله قد أحمّا

فإن لفظ سكين لا يدلنا على أنه ترخيم سكينة ابنة الحسين (ع) على أن أبا الفرج يروي البيت الثاني[2] :

---

(١) أمالي القالي ج٢ ، ص٣٠٥ . (٢) الأغاني ج١ ، ص١١٧ .

Books.Rafed.net

جددي الوصل يا قريب وجودي لمحب فـــــراقـــــه قـــــد ألما

ومع هذا الإجمال في اللفظ والخلاف في الرواية كيف يمكن للباحث المتحري للحقائق القطع على أن الشعر وارد في سكينة ابنة الحسين لولا العداء لهؤلاء الأطهار وقصد تشويه سمعة بيتهم الرفيع بما دب ودرج .

ولم يكتف الزبير بن بكار في الطعن على سكينة حتى أزرى ببعض العلويين من أبناء أبيها ، فحدث أبو الفرج في الأغاني ج١ ، ص١١٧ عنه أن جعفر بن محمد بن زيد بن علي بن الحسين أنشد قول عمر :

ليس بين الحـــيـــاة والموت إلا أن يردوا جـــمـــالهم فـــتـــزمـــا

فطرب وارتاح وجرت دموعه وجعل يقول لقد عجلوا البين أفلا يوكون قربة ، أفلا يودعون صديقاً ، أفلا يشدون رحلاً .

أنا لا أريد أن أنزه وأبرئ جميع العلويين عما لا يلتئم مع آداب الشريعة وأحكامها ولكن أقول : لا يجوز الاعتماد على الزبير بين بكار وأمثاله ممن طعن فيهم العلماء ورموهم بالكذب ، فلا تدون رواياتهم الواضعة من قيم الرجال ما لم تدعم بقرينة قوية وجعفر بن محمد ابن زيد لم يرد في حقه ما لا يلتئم مع شريعة جده (ص) .

وهنا نرى الأستاذ توفيق الفكيكي قد أخذه الاحتدام على آل الزبير الناشرين لهذه الأكاذيب وعلى من يدونها من دون روية فتخيل أن (جعفر) هذا هو الإمام أبو عبد الله الصادق مهذب الأمة بنصائحه وحكمه وناشر الشريعة فأشكل على الرواية ومن دونها ، ولكن صريح نصها أنه حفيد (زيد الشهيد) ابن الإمام زين العابدين (ع)

Books.Rafed.net

وكونه ابن محمد بن زيد على رأي أبي الحسن العمري في المجدي ، وعلى رأي الداودي في عمدة الطالب هو جعفر بن محمد بن محمد بن زيد الشهيد بن زين العابدين (ع) .

وعلى ما ذكرناه من أن روايات الأغاني في حق سكينة أكثرها من آل الزبير تعرف ما يحدث به أبو الفرج في الأغاني ج١٤ ـ ص١٥٩ عن الزبير بن بكار عن عمه مصعب من أن سكينة كانت برزة من النساء تجالس الأجلة ، وهذا كحديثه فيه عن مصعب الزبيري أنها كانت تصفف جمتها حتى عرفت بالجمة السكينية .

وكقوله فيه في التحدث عن شعيب بن أشعب الطامع وكان كأبيه في المجون والاستهتار فأصحبه الرشيد مع عمه إبراهيم بن المهدي المعني بقول أبي فراس :

منكم علية أم منهم وكان لكم شيخ المغنين إبراهيم أم لهم

فطلب منه إبراهيم أن يحدثه عن طمع أبيه ليستريح به في قطع الليل ، ثم سأله إبراهيم عن أقربائه بالمدينة فقال شعيب بن أشعب : إنهم يعدون بالألوف وأكثر ، قال له إبراهيم : ويلك ما بينك وبين أشعب أحد فمن أين هؤلاء فاختلق شعيب حديثاً لإثباته وتهجم به على ابنة سيد شباب أهل الجنة ، فأثبت زواج زيد بن عمر بن عثمان بن عفان منها كما افترى عليها بإسراف المال الممقوت حتى عند العرف ، وأنت بعد أن تتذكر ما مر عليك من كون أشعب من موالي آل الزبير من قبل أبيه وقد تربى في بيت عائشة بنت عثمان ابن عفان يتجلى لك قيمة هذا الحديث المتفكه به ابنه شعيب مضافاً إلى أنه حديث ليل ومسامرة مع الأمراء .

Books.Rafed.net

حديث الأزواج

لم يبرح أبو الفرج يجمع أضغاثاً من القول المزري بكريمة بيت العصمة ويأتي من هنا وهنا كل شائنة هي أولى ببيته يحسب أن الشهوة بلغت منها كل مبلغ حتى فقدت من أجلها القواعد العرفية والشرعية والعادات ، فروى عن الزبير بن بكار أن لها ستة أزواج وكان فيهم من لا كفاءة فيه لهذه الحرة ثم تحدث عن مصعب الزبيري[1] أن الأصبغ بن عبد العزيز لما تزوج منها قال بعضهم :

نكحت سكينة في الحساب ثلاثة فإذا دخلت بها فأنت الرابع
إن البقيع إذا تتابع زرعه خاب البقيع وخاب فيه الزارع

هذا ما في عيبة الرجل والذي تحدث عنهم من آل الزبير وأنت على يقين من أن ربائب الخدور وبنات البيوت الغيورات على أنفسهن واعتبارهن لا يتنازلن إلى قبول الأزواج بعد أزواجهن الأولين ويرين في ذلك مساً بكرامتهن ، إذا كان من قضى عنهن أكفاء كراماً فلا يبغين بهم بدلاً خصوصاً إذا لم يكن الخطاب أكفاءً لهن ، وكثيراً ما نرى البنات يموت أزواجهن فيبقين بلا زوج حتى الموت وهن في

---

(١) نسب قريش لمصعب ص٥٩ .

Books.Rafed.net

مقتبل شبابهن فهذه زوجة هدبة بن حشرم لما قدم زوجها ليقاد منه أخذت مدية وجدعت أنفها حتى لا يكون للرجال طمع فيها[1] .

ومن أجل ذلك امتنعت (الرباب) من التزويج بعد سيدها الحسين المظلوم (ع) قالت : لا أتخذ حماً بعد رسول الله (ص)[2] إذاً فابنتها سكينة سيدة الكرائم أولى بهذه الأحوال من بنات البيوت جمعاء ، لكن (الزبيري) حدته أحقاده على أمير المؤمنين علي (ع) إلى أن ذكر لها من الأزواج من لا كفاءة فيه ، ومنهم من هو شانىء للبيت العلوي أو شامت به قد دبت فيه جذور الأحقاد أترى أن ابنة سيد الأباة تتطامن لتلك الضعة نزولاً منها على حكم الشهوة .

على أن علماء النسب والتاريخ يشهدون بأن زوجها الأول عبد الله الأكبر ابن الإمام الحسن المجتبى سيد شباب أهل الجنة وهو أخو القاسم أمهما «رملة» استشهد يوم الطف قبل القاسم ، ومن هؤلاء الأعلام النسابة أبو الحسن العمري في القرن السادس في كتابه «المجدي» ، وأبو علي الطبرسي صاحب مجمع البيان في «أعلام الورى» ص١٢٧ عند ذكر أولاد الحسن ، والشيخ محمد الصبان في إسعاف الراغبين على هامش نور الأبصار للشبلنجي ص٢٠٢ ، وقال أبو الفرج في الأغاني ج١٤ ص١٦٣ أول أزواجها عبد الله بن الحسن ابن علي بن أبي طالب قتل عنها ولم تلد منه ، وفي أعلام الورى قتل قبل البناء بها ، وقال ابن حبيب في «المحبر» ص٤٣٨ ، والمدائني في «المترادفات» ص٦٤ المجموعة الأولى من نوادر المخطوطات كان

---

(١) رسالة المغتالين ص٢٦٢ لابن حبيب في المجموعة الأولى من نوادر المخطوطات .

(٢) كامل ابن الأثير ج٤ ، ص٣٦ وتذكرة الخواص ص١٥٠ .

Books.Rafed.net

عبد الله بن الحسن أبا عذرها فمات عنها ومقتضاه البناء بها لإرادة هذا المعنى من المثل ، قال الزبيدي في تاج العروس ج٤ ، ص٣٨٧ مادة عذر يقال أبو عذرها وأبو عذرتها إذا افترعها وافتضها .

إن السيدة الكريمة لم تستبد في الرأي في أمورها دون وليها «زين العابدين» ومن المقطوع به أنه لا يرى لأي زبيري أو أموي كفاءة لمصاهرته كيف ونصب عينه أحقاد القوم وتحزباتهم عليه ، وعلى الدين من يوم جده أمير المؤمنين وإلى أبيه الحسين وسيوفهم تنطف من دمائهم الزاكية والشماتة بادية على جباههم ويقذفونها في فلتات ألسنتهم فهل والحالة هذه يتطامن إلى مصاهرة هؤلاء وكل أحد يجد في قرارة نفسه التباعد عن مصاهرة من يحرش عليه ويطعن بمقدساته وإن بلغ من الشرف أقصاه بل حتى لو كان شقيقه من أبيه وأمه .

وهذا الحجاج الثقفي يعذل خالد بن يزيد بن معاوية لما خطب رملة بنت الزبير أخت مصعب وقال له : كيف خطبت إلى قوم ليسوا لك بأكفاء ، وكذلك قال جدك معاوية وهم الذين قارعوا أباك على الخلافة ورموه بكل قبيحة وشهدوا عليه وعلى جدك بالضلالة فأعرض خالد عن مصاهرة آل الزبير[1] .

ولما تزوج عبيد الله بن زياد بنت أسماء بن خارجة قبل ولايته الكوفة لامه عمرو بن حريث وقال : تزوجه ولا سلطان له عليك[2] .

فالإمام زين العابدين أجدر بالتباعد عن مصاهرة من جرع آباءه الغصص ونصبوا لهم الغوائل ، على أن أبا الفرج يحدث أن مصعب

---

(١) الأغاني ج١٦ ، ص٨٥ .
(٢) أنساب الأشراف للبلاذري ج٤ ، ص٨٣ .

Books.Rafed.net

ابن الزبير تزوج منها وهو عامل أخيه بالبصرة[1] ولم يكن مسيطراً على الحجاز ليخاف السجاد (ع) سطوته ولم تكن الظروف تساعد الزبيريين على أخذها اغتصاباً لأن العواطف كانت وقتئذ ثائرة على كل من يمس أهل البيت بسوء حتى أن عبد الله بين الزبير نفسه نصب الهتاف بظلامة السبط الشهيد أبي عبد الله الحسين (ع) شركاً يصطاد به البسطاء ، ولما حسب أنه بلغ من الملك أمنيته ترك ذلك وتجرأ على قدس المنقذ الأكبر رسول الله (ص) فترك الصلاة عليه عند ذكره أربعين جمعة ولما عوتب قال : إن له أهل بيت سوء إذا ذكرته أشرأبت نفوسهم إليه وفرحوا بذلك فلا أحب أن أقر عيونهم[2] .

وقبله معاوية بن أبي سفيان فقد تجرأ على قدس الرسول (ص) لما سمع المؤذن يشهد بالرسالة فقال لله أبوك يا ابن عبد الله لقد كنت عالي الهمة ما رضيت لنفسك إلا أن تقرن اسمك مع اسم الرب تعالى[3] وهذا الكلام منه يدلنا على تشكيكه بالرسالة مع أن الرسول في الأحكام الشرعية وغيرها ﴿**ما ينطق عن الهوي إن هو إلا وحي يوحى علمه شديد القوى**﴾[4] . والأذان من الأحكام المنزلة من إله العالمين ومصعب بن الزبير قتل بالعراق سنة ٧١هجـ قبل شهادة زين العابدين بأربع وعشرين سنة ، وسكينة مدة حياة أخيها تسكن في بيته لا تفتر عن البكاء على أبيها المظلوم الممنوع من الورود كلما تشاهد

---

(١) الأغاني ج١٤ ، ص١٦٣ .
(٢) مقاتل الطالبيين ص ١٦٥ طبع إيران .
(٣) شرح النهج لابن أبي الحديد ج٢ ، ص٥٣٧ مصر .
(٤) سورة النجم ، الآيات ٣ و٤ و٥ .

Books.Rafed.net

أخاها الحجة زين العابدين حزين القلب باكي العين على أبيه سيد شباب أهل الجنة والبهاليل من أهله وصحبه .

ومما يشهد لذلك أن يزيد بن معاوية مع طغيانه وتهتكه وعدم إيمانه برسالة الإسلام والنبي المبعوث بها ، كما أفصح عنه شعره الدائر بين الناس ولأجله استوجب مؤاخذة العلماء عليه وحكمهم بكفره وزندقته واستحقاق اللعن[1] حتى قال العلامة الألوسي : إن مجموع ما فعله مع أهل حرم الله وحرم نبيه (ص) وعترته الطيبين الطاهرين في الحياة وبعد الممات ليس بأضعف دلالة على عدم تصديقه من إلقاء ورقة من المصحف الشريف في قذر ، والظاهر أنه لم يتب واحتمال توبته أضعف من إيمانه فأنا أذهب إلى جواز لعنه على التعيين ، ومن لم يرض بلعنه على التعيين فهو الضلال البعيد الذي يكاد يزيد على ضلال يزيد[2] .

ومع هذه الأفعال المنكرة وعدم مبالاته بقانون الشريعة المانع منها أوصى مسلم بن عقبة لما سيره لمحاربة أهل المدينة باحترام (زين العابدين) وتعزيز مقامه لأن الإساءة إلى أهل هذا البيت توجب الدمار وتورد النكبات فأباح القائد المسرف حرم الرسول (ص) لجيشه التمرد ثلاثة أيام[3] فافتضت العذارى وولدت عشرة آلاف امرأة من غير زوج[4] وانتهبوا بيوت المسلمين وأريقت الدماء عند قبر النبي (ص)

---

(١) ذكرنا في مقتل الحسين ص٨ الطبعة الثانية حكم علماء أهل السنة في لعن يزيد لتعديه على حرمات الله .
(٢) تفسير روح المعاني ج٢٦ ، ص٧٣ ، آية فهل عسيتم ان توليتم .
(٣) تاريخ الطبري ج٧ ، ص٦ .
(٤) تذكرة سبط ابن الجوزي ص١٦٣ .

Books.Rafed.net

ولكنه أوصى جيشه ببيت (علي بن الحسين) فكان أمناً لمن دخله من أهل المدينة ، حتى أن مروان بن الحكم الذي أثار فتنة الجمل وحرض (المرأة) على منع ادخال جنازة الحسن السبط في قبر جده النبي (ص) لتجديد العهد به فنهضت واصحرت عن بغضها بقولها لا تدخلوا بيتي من لا أحب[1] وكان مروان يهتز فرحاً بقتل الحسين لما شاهد الرأس المقدس أمام «ابن ميسون» وهو ينكته بقضيب خيزران فقال متشمتاً :

يا حبذا بردك فى اليدين ولونك الأحمر فى الخدين
شفيت نفسي من دم الحسين أخذت ثاري وقضيت ديني[2]

فلم يمسكه الحياء من هذه المنكرات التي هي نصب عين السجاد عليّ بن الحسين وأندية أهل البيت تلهج بها ، فجاء بعياله إلى بيت الإمام زين العابدين يوم واقعة الحرة فرقاً من بطش الجيش المتمرد فرأى من ابن (النبوة والإمامة) جاهاً عريضاً وخلقاً واسعاً وحلماً راجحاً كما يقتضيه عنصره الطيب الطاهر وهذا بعد أن استجار بعبدالله بن عمر بن الخطاب فزبره وطرده عن بابه ، وقال : لا تحرقني بنارك[3] وإني لاستطرف أبيات سعد بن محمد الصيفي المعروف بحيص بيص لعلاقتها بالموضوع وارتباطها به :

ملكنا فكان العفو منا سجية ولما ملكتم سال بالدم أبطح
وحللتم قتل الأسارى وطالما غدونا عن الأسرى نعف ونصفح
فحسبكم هذا التفاوت بيننا وكل إناء بالذي فيه ينضح

---

(١) مناقب ابن شهرآشوب ج٢ ، ص١٧٥ .
(٢) انظر ما كتبناه في مقتل الحسين ص٤٢٦ طبعة ثانية .
(٣) تاريخ الطبري ج٧ ، ص٧ .

Books.Rafed.net

والقصة في هذا أن نصر بن مجلى من أهل السنة رأى علي ابن أبي طالب في المنام فقال له : إنكم لما فتحتم مكة قلتم : من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ثم يتم على ولدك الحسين يوم الطف ما تم ، فقال له : أما سمعت أبيات ابن الصيفي في هذا ، قال : لا ، فقال : اسمعها منه ولما استيقظ بادر إلى الحيص بيص فسأله عن الأبيات وحكى له الرؤيا فأجهش بالبكاء وحلف بالله أنه نظمها في ليلته وما سمعها منه أحد[1] .

ومن يقرأ قصة زواج مصعب من سكينة في عيون الأخبار لابن قتيبة ج١ ، ص٢٥٨ يتجلى له أنها من الخيالات ، وهو وإن أثبتها مرسلة إلا أنها لا تعد ، والزبير بن بكار وابن أخيه مصعب وثالثهم عروة بن الزبير لأن أبا الفرج في الأغاني أسندها إليهم .

وأغرب منه ما يرويه أبو منصور البغدادي عن المدائني عن مجالد عن الشعبي أن سكينة نشزت على زوجها عبد الله بن عثمان بن حزام فشكتها أمه رملة بنت الزبير بن العوام إلى عبد الملك[2] .

وليته نظر قبل أن يسجل هذه الفرية في نص ابن معين ويحيى ابن سعيد وغيرهم من علماء الرجال عما ذكروه في حق (مجالد) فيعرف توقفهم عن رواية أحاديثه وإعراضهم عن جميع مروياته ثم

---

(١) الأبيات مع القصة في شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ج٤ ، ص٢٤٧ ، حوادث سنة ٥٧٤ ، ومعجم الأدباء لياقوت ج١١ ، ص٢٠٦ ، ووفيات الأعيان لابن خلكان بترجمته ، وفي البداية لابن كثير ج١٢ ، ص٣٠١ توفي ببغداد/ ٥ شعبان سنة ٥٧٤ ودفن بباب التبن وليس له عقب .

(٢) بلاغات النساء ص١٤٦ طبع النجف .

Books.Rafed.net

يعطف النظرة إلى الشعبي ويدرس أحواله فعندها لا يبقى له ريب في سقوطه عن قبول الرواية .

يتحدث المؤرخون أن الشعبي من صنائع الأمويين يرتع في دنياهم ويسير على رغباتهم ، تولى المظالم بالكوفة من قبل بشر بن مروان أيام ولايته من قبل عبد الملك[١] وتولى القضاء بالكوفة من قبل عمر بن عبد العزيز[٢] فهو مرواني النزعة لا يتحرج من كذبة ولا يتبرم من خطل ولا يعرف حرمة الشريعة المطهرة ، فكان يسمع غناء ابن عائشة فيقول متعجباً منه : يؤتي الله الحكمة من يشاء[٣] وكان ابن سريج يغني له فقيل له : من هذا؟ قال : هذا الذي أوتي الحكم صبياً[٤] ولم ينكر أبو منصور البغدادي سماعه الغناء[٥] المحرم في الكتاب والسنة وإجماع الشيعة والسنة ولم يخف هذا الحكم على الشعبي ولكن ﴿**من يضلل الله فلا هادي له**﴾[٦] ﴿**وليحملن أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم وليسألن يوم القيامة عما كانوا يفترون**﴾[٧] .

ولذلك تراه معرضاً عن الولاء لأمير المؤمنين وأبنائه المعصومين . يحدث ابن مطرف الكناني بسنده عن إسماعيل بن أبي خالد أنه سمع الشعبي يحلف بالله ويقول : دخل علي بن أبي طالب حفرته

---

(١) الأغاني ج٢ ، ص١٢٠ طبعة ساسي .
(٢) تاريخ الطبري ج٨ ، ص١٣١ .
(٣) الأغاني ج١ ، ص١٢١ ، ج٢ ، ص٧١ .
(٤) نيل الأوطار للشوكاني ج٨ ، ص٨٣ .
(٥) نيل الأوطار ج٨ ، ص٨٢ .
(٦) سورة الأعراف ، الآية ١٨٦ .
(٧) سورة العنكبوت ، الآية ١٣ .

Books.Rafed.net

ولم يحفظ القرآن[1] وتقزز ابن فارس من هذه الجرأة على باب مدينة علم الرسول فقال : هذا الكلام شنيع جداً فيمن يقول : سلوني قبل أن تفقدوني ، سلوني فما من آية إلا أعلم بليل نزلت أم بنهار في سهل أم في جبل[2] .

هذا حال الشعبي مع أمير المؤمنين الذي لم يختلف اثنان في معرفته بنزول القرآن وتأويله وفيمن نزلت ، كما أن الأحاديث كثيرة في جمعه القرآن بعد وفاة النبي (ص) فكيف حاله مع غيره من أهل البيت رجالاً ونساءً فحق له إذا تحدث بما شاء له الهوى .

---

(١) القرطين ج١ ، ص١٥٨ .

(٢) الصاحبي في فقه اللغة ص ١٧٠ .

Books.Rafed.net

Books.Rafed.net

حديث البيتين

وهناك سقطة أخرى باء بإثمها صاحب الأغاني حيث لم تقنعه هاتيك السفاسف في خدش عواطف الخفرة فطفق يمس بكرامة أبيها الإمام المعصوم (ع) بما ينافي العصمة أو يصادم العظمة والحفاظ ، فذكر في الرواية عن رجال مجاهيل لم يعرفهم علماء الرجال والتراجم أن سكينة قالت : عتب عمي الحسن على أبي في أمي الرباب ، فقال الحسين راداً عليه[1] :

لعمرك إنني لأحب داراً تحلّ بها سكينة والرباب
أحبهما وأبذل جل مالي وليس لعاتب عندي عتاب

وزاد ابن جرير الطبري في المنتخب من الذيل ضغثاً على إبالة فذيلهما بثالث :

ولست لهم وإن عتبوا مطيعاً حياتي أو يغيِّبني التراب

كل هذا جهل بمقام الإمامة وإغضاء عن ناحية العصمة وخفوق عن جهة الشهامة والحفاظ ، فإن الإمام عندنا المنصوب من قبل الله تعالى المعصوم عن كل خطل ، حتى من ترك الأولى لا يصدر منه ما

---

(١) الأغاني ج١٤ ، ص١٥٧ ، ونسب قريش لمصعب الزبيري ص٥٩ .

Books.Rafed.net

يوجب العتاب حتى من معصوم مثله والسبط المجتبى (ع) لا يعاتب أحداً على مجرد حب حليلته المرغوب فيه ، إلا أن يكون خارجاً عن الحدود الشرعية ولا يعقل مثله في الحسين (ع) .

وعلى فرض وقوع العتاب المزعوم «فشهيد الدين» أبر وأتقى من أن يجابه حجة الوقت والإمام على الأمة أجمع بنظم البيتين .

ومما لا يلتئم مع حفاظه المر ووقاره المزري بشم الرواسي وعظمته المشتقة من النبوة مدح حليلته وابنته بشعر يعلم بطبع الحال أنه ستسير به الركبان ، ثم يبث ذلك بين الناس فتلوكه الأشداق حتى يغني به المغنون في منتديات البطر ومجتمعات الفجور .

لكن لم يكن بدعاً من مزاعمهم بعد أن طعنوا في (آبي الضيم) الحامل لأعباء الإمامة بما هو أعظم وأنكى ، فذكر ابن حجر العسقلاني أن الحسن (ع) لما عزم على الصلح شاور عبد الله بن جعفر الطيار فيه فلم ير منه خلافاً عليه ، وقال للحسين : يا أخي إني رأيت رأياً وأحب أن تتابعني عليه ثم قصه عليه ، فقال الحسين (ع) : أعيذك بالله أن تكذب علياً في قبره وتصدق معاوية .

فقال الحسن (ع) :

والله ما أردت أمراً قط إلا خالفتني إلى غيره ، والله لقد هممت أن أقذفك في بيت فأطينه عليك حتى أقضي أمري[1] .

هكذا يتحدث ابن حجر ويغتر به الساذج من المتأخرين فيعد هذه المخالفة من الحسين من بواعث الشهامة والإباء ، وقد ذهب على المسكين أن الحسين المعصوم لا يجابه إمام الوقت بتلك الشدة المزرية

---

(١) تهذيب ج٢ ، ص٢٩٩ بترجمة الحسن (ع) .

Books.Rafed.net

وهو يعلم أن ما يفعله على وفق المصلحة الواقعية التي ارتضاها رب العالمين ونصت به الصحيفة المخصوصة به .

أليس هو القائل لجابر الأنصاري لما قال له :

ألا تصالح كما صالح أخوك الحسن؟

فقال الحسين :

إن أخي فعل بأمر من الله ورسوله وأنا أفعل بأمر من الله ورسوله .

ألم يكن الأصلح للحسين مداراة أخيه المجتبى والتسليم له ـ لو صدقت المزاعم والأوهام ـ ويكون كعبد الله بن جعفر لما أبدى له الإمام نظرية الصلح فخضع لرأيه وسلم له ، أمن الجائز أن يكون عبد الله أعرف بحكم الوقت من السبط الشهيد؟

ويحدث ابن شهرآشوب في المناقب ج٢ ، ص١٤٣ طبع إيران أن الحسين ما تكلم بحضرة الحسن إعظاماً له ، ولا تكلم محمد بن الحنفية بحضرة الحسين إعظاماً له ، وفي مشكاة الأنوار للطبرسي ص١٥٤ كان أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق (ع) يقول : ما مشى الحسين بين يدي الحسن قط ولا بدره بمنطق قط إذا اجتمعا تعظيماً وإجلالاً له .

فهل يجوز العقل مع هذه الآداب الإلـٰهية أن يخالف سيد الشهداء أخاه حجة الوقت ويخطئ رأيه ، مع علمه بأنه لا يفعل إلا وفق المصلحة الربوبية .

Books.Rafed.net

Books.Rafed.net

نظرة إجمالية

علمنا من شتى النواحي مستنبطين من مدونات التاريخ وجوامع الحديث ومما عرفناه من مواقف أئمة الهدى من الإصلاح والتهذيب وخضوع من دونهم من ذوي قراباتهم ، إلا أفراداً أخرجهم النص الصريح أن السيدة سكينة لم تكن متروكة سدى ترتكب الشنع وتقتحم المخاريق ، وإنما كانت بمرصد من أخيها زين العابدين وابنه الباقر والصادق وبعين رعايتهم لها وهب أن الخلافة الصورية والسلطة العامة كانت مبتزة منهم ، لكن لم تبتز منهم القدرة على نسائهم وعائلتهم ، كيف وكل من سوقة الناس يقدر على من تحت حيطته من أهل بيته فيكبحهم عما يحط بكرامته أو لا يراه من صالحهم لجهات أخرى .

فهل من المعقول أن الإمام زين العابدين (ع) يدع أخته الكريمة عليه في حيث تنيخ فيه الضعة والصغار ، وهو القائل لأبي خالد الكابلي حين دخل عليه ورأى الباب مفتوحاً فتعجب من ذلك :

لا تعجب إن الخادمة خرجت من الدار ولا علم لها بفتح الباب ولا يجوز لبنات رسول الله أن يخرجن فيصفقن الباب[1] .

---

(١) مدينة المعاجز ص٣١٨ ، حديث ٨٦ .

Books.Rafed.net

أمن المعقول أنه لا يجوز لهن رد الباب وليس فيه إلا الخروج إلى مظنة رؤية الأجنبي لهن من وراء الأزر والأخمرة ، ويكون من الجائز لهن التبرج إلى الأجانب والمحادثة معهم والخوض في مجاملاتهم خصوصاً ما تمنع منه الشريعة وهو سماع الغناء وعقد المجالس للمغنين .

ثم ما بال الإمام الباقر (ع) يذر عمته السيدة بين تلكم المخازي ، وما بال الأباة الهاشميين يغضون الطرف عما هنالك من بواعث العيب والنقص ، فإلى من يدخرون الإصلاح وهم يتركون عقائل بيتهم ، وإلى أي زمن يرجئونه إن أخروه عن أيام حياتهم في خفراتهم؟

وهذه جبلة فطر الله عليها الأمم جمعاء فضلاً عمن قيضهم المولى سبحانه لهداية البشر وإرشادهم إلى ما هو الأصلح ، وقد كان في الأمة العربية من لا يرضخ لمنافيات الغيرة والشهامة وإن بلغوا في القساوة كل مبلغ حتى كان من أمرهم أن وأدوا البنات كيلا يلحقهم بسببهن العار ، وكانوا لا يزوجون المرأة من الرجل إذا شبب بها[1] .

ولما شبب عبد الله بن مصعب المعروف بعائذ الكلب بامرأة من بني نصر بن دهمان وكان اسمها «جمل» عمد إليها إخوتها فقتلوها غيرة منهم[2] .

ولما بلغ الحجاج الثقفي أن محمد بن عبد الله النميري شبب بأخته زينب أسمعه السباب المقذع ولم يتركه حتى كتب إلى عبد الملك بن مروان بذلك[3] ، ولما شبب وضاح بامرأة الوليد قتله[4] .

---

(١) شرح أمالي القالي للبكري ج٢ ، ص٦٥٩ .
(٢) المصدر .
(٣) شرح أمالي القالي ج٢ ، ص٦٥٨ .
(٤) آداب اللغة العربية لجرجي زيدان ج١ ، ص٢٨٣ .

Books.Rafed.net

وشبب الهذلي بابنة جندل بن معبد من بني الحساس فساء ذلك أباها فعدا عليه وقتله ثم أحرقه[1] .

وكان ابن رهيمة يشبب بزينب بنت عكرمة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فاستعدى عليه أخوها هشام بن عبد الملك فأمر بضربه خمسمائة سوط وأباح دمه إن وجد يفعل مثل ذلك .

وغضب يزيد بن معاوية على عبد الرحمن بن حسان لما شبب بأخته رملة بنت معاوية واستعدى عليه أباه معاوية بن أبي سفيان[2] .

واشترى ابن معبد «سحيم» الشاعر فلما شبب سحيم بابنته عميرة وشهرها عدا ابن معبد عليه فأحرقه بالنار[3] .

وفي هذه الشواهد مقنع للتعريف بما جبلت عليه نفوس العرب من الغيرة والشهامة ، فكيف بالهاشميين منهم الذين لم يرضخوا للدنايا وترفعوا عن كل ما يمس كرامتهم فتراهم ينكرون على من يتناول أعراض غيرهم فضلاً عن أعراضهم .

فهذا الحسن بن زيد بن الحسن المثنى بان الإمام السبط الحسن ابن أمير المؤمنين (ع) بلغه يوم كان والياً على المدينة ان ابن المولى الشاعر يشبب بحرم المسلمين ، فأغلظ القول له وتهدده ولم يتركه حتى حلف بالأيمان المغلظة أنه لم يقصد امرأة بعينها وإنما عنى في شعره قوسه وسماها «ليلى» .

---

(١) شرح أمالي القالي ج٢ ، ص٧٢١ .
(٢) شرح أمالي القالي للبكري ج٢ ، ص٧٢١ .
(٣) شرح أمالي القالي للبكري ج٢ ، ص٧٢١ .

Books.Rafed.net

ولقد أنكر الرشيد على إسحاق الموصلي لما غناه بشعر عمر بن أبي ربيعة وفيه لفظ سكينة ولم يتعين أنها ابنة الحسين ولأجل المشابهة في الاسم قال له :

لعن الله الفاسق ولعنك معه ويحك أتغنيني بأحاديث الفاسق في سكينة ، ألا تتحفظ في غنائك وتدري ما يخرج من رأسك؟

فهل والحالة هذه ترى الهاشميين الذين هم في المدينة يغضون الطرف عما تفعله خفرة من نسائهم من المخاريق والشنع ، وإذا لم يسعهم ذلك معها فهلا يسعهم أن يوصدوا الأبواب دون من يريد الاجتماع معها من شعراء ومغنين مع أنه لم يكن لهؤلاء أنصار يخاف منهم سوء العاقبة؟

ثم هل يعذر إمام قيضه الله تعالى لتأديب البشر عامة وتحت سيطرته من لم يتأدب بآداب الشريعة الذي قيض لأحيائها وهو ومن جرى مجراه من أئمة الهدى يوصون شيعتهم بمنع المرأة عن الابتذال ومزاولة الرجال فيقولون : المرأة عيّ وعورة فداووا عيّهنّ بالسكوت وعوراتهن بالبيوت[1] وأنها إذا خرجت من بيتها لعنها كل ملك في السماء حتى ترجع إلى بيتها ، وإن تعطرت وخرجت حتى يوجد ريحها فهي زانية ، وأنها تلعن حتى ترجع إلى بيتها وليس لها أن تجلس مع الرجال في الخلاء ولا أن تتعلم الكتابة ولا سورة يوسف لما فيها من الفتن ، وعليها أن تتعلم سورة النور لما فيها من التهديد والزجر ، ولا تنزل الغرف فيراها الأجانب ، وليس عليها أذان ولا

---

(١) الوسائل للحر العاملي ج٣ ، ص٣٠ ، باب ١٣٠ عن أبي عبد الله عن النبي (ص) .

Books.Rafed.net

إقامة كيلا يسمع صوتها الرجال ولا جمعة وجماعة ، ولا عيادة مريض ولا تشييع جنازة ولا الإجهار بالتلبية ، ولا الهرولة بين الصفا والمروة ولا استلام الحجر ، ولا تولي القضاء ، ولا الإمارة ، ولا المشاورة في الأمور[1] .

وفي وصية أمير المؤمنين (ع) للحسن :

وإن استطعت أن لا يعرفن غيرك فافعل .

أيصح على هذا الحال نسبة المسامحة إلى إمام الأمة (ع) بإسدال الستر على السيدة وكبحها عن محادثة الرجال أم ينسب إليه المروق عن طاعته وعدم قدرته على التوصل إلى ذلك بكل صورة .

كبرت كلمة تخرج من أفواههم ، إن يقولوا إلا زوراً .

ويا فض فم القائل إن لهج بشيء من ذلك .

والذي يهون الخطب أن أحاديث أبي الفرج لا قيمة لها في حق السيدة الزكية بعد أن كان مصدرها الزبير بن بكار وابن أخيه مصعب والهيثم بن عدي وأضرابهم ممن هو شانىء لهذا البيت الطاهر ، أو مستأجر لسياسة الوقت ، وأن تاريخ حياة السيدة سكينة مما نطق به أقوام أخذهم الحنق على حملة الوحي وسادات الأمة كما لوثوا ساحة غيرها من رجالات هذا البيت الرفيع وخفراته بعد أن أعوزتهم الوسائل إلى الطعن في قدس الأئمة الطاهرين فطفقوا يحطون من كرامة أبنائهم وذوي قراباتهم من أمثال هذه النواحي وهم لا يعلمون

(١) الوسائل للحر العاملي ج٣ ، ص٢٧ باب ١١٧ جملة مما يحرم على النساء وما يكره .

Books.Rafed.net

أن المستقبل الكشاف سيوقف أرباب البحث على نواياهم السيئة ودحر ما افتعلوه ، فإن للحق أنصاراً ولا بد للباغي من مصرع .

وقد عرفت فيما تقدم أن سكينة التي تجتمع مع عمر بن أبي ربيعة في محفل الغناء هي ابنة خالد بن مصعب بن الزبير ومنه تعرف كيف زحزح آل الزبير هذه الشناعة عن ابنتهم وألصقوها بمن شابهتها في الاسم ، فراجت هذه الأكذوبة حتى على من زعم أنه محص الحقائق ، وأخذت به الثقافة إلى حد بعيد وفي الحقيقة لا يعرف من أين تؤكل الكتف .

ولعل هذا البيان الضافي لم يدع للقارئ مندوحة عن الإذعان بأن المصونة الطاهرة هي تلك البريئة من كل شين وعار ، والرضية المخفورة تحت خباء النبوة وبين سرادق الإمامة يكتنفها الشرف ويحفّ بها الصون من جميع نواحيها ولم تبرح ترفل في مطارف من الحصافة قشيبة ، ولها أشواطها البعيدة في مستوى الآداب الأحمدية تزينها العفة والحياء وتجللها الرزانة والوقار ويزدان بذكرها المدح والثناء وإن كان لأرباب الأهواء والمطامع حول حياتها جلبة وتركاض فدعهم يخوضوا ويلعبوا ويلههم الأمل الخائب والأمنية المخفقة والظن المكدي .

وإن كلمة الحسين فى حقها :

«أما سكينة فغالب عليها الاستغراق مع الله تعالى» .

نتشوف منها منزلة كبرى في اليقين والتجرد عن هذه العوارض الدنيوية الفانية .

إن هذه الجلبة بسرد هاتيك القصص الخرافية كما غرت أبا الفرج اغتر بها من جاء بعده من المؤرخين ، فنشروا فضائح في حق

Books.Rafed.net

السيدة البريئة سودوا بها صفحة التاريخ حسباناً منهم أن صاحب الأغاني ومن تقدمه لا يرسل ما لا تعويل عليه ، وعرفت بما أوضحناه أن هؤلاء كحاطب ليل لم يريدوا إلا جمع أضغاث من هنا وهنا فألبسوها أطماراً من الظنون والأوهام .

Books.Rafed.net

Books.Rafed.net

الرباب

التاريخ دراسات لما يعبر في الزمن من خير وشر ودليل لمعرفة سير البشر في المعارف والصناعات والسياسيات والعادات والمؤهلات للرقي والانحطاط ومرآة صافية يتشوف منها الأعمال الصالحة والتعاليم النافعة وسير الأبطال إلى أهدافهم المرموقة وما يؤثر عن العظماء من مزايا وآثار تكون قدوة في اقتصاص أثرهم والسير على هداهم ، ومن المؤسف جداً إهمال المؤرخين ورواة الحوادث واجبهم فنشروا فضائح وستروا فضائل طاعة للأمراء الذين استعبدوهم بالمال أو خضوعاً للنزعات والأحقاد فجنوا على الحقائق الراهنة وأضاعوا الأمانة المودعة عندهم ، فزويت معارف الرجال وأعمالهم الصالحة واختلط الصحيح بالسقيم وديف السم بالعسل ، وأن كلمة (مقاتل) للمنصور الدوانيقي (أتحب أن أضع لك في فضل العباس)[1] تفيدنا فقهاً بتأثير الأطماع في النفوس وسحق العقائد ، وإن أوجب غضب الرب سبحانه وتعالى خصوصاً إذا كان الوضع على لسان صاحب الشريعة ، وقد نبه على وخامة عاقبته فقال (ص) : ستكثر القالة من بعدي فمن كذب عليّ

---

(١) تاريخ بغداد ج١٣ ، ص١٦٧ .

Books.Rafed.net

فليتبوأ مقعده من النار[1] . قال السبكي : المؤرخون على جرف هار لتسليطهم على أعراض الناس ونقلهم مجرد ما يبلغهم من صادق أو كاذب[2] ، وربما وضعوا من أناس ورفعوا آخرين ، إما لتعصب أو جهل أو اعتماداً على نقل من لا يوثق به ، والجهل في المؤرخين أكثر منه في أهل الجرح والتعديل وقل ما أرى مؤرخاً خالياً عن التعصب[3] ولقد كان عيسى بن داب يضع للعباسيين وعوانة بن الحكم يضع لبني أمية[4] ومعاوية يستعبد سمرة ابن جندب وأبا هريرة وأنس وزيد ابن أرقم وعروة بن الزبير[5] لأهدافه وغاياته ، فأكثروا من فضائل السلف والطعن في أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب وولده ، وشوهوا أحكام الشريعة وتجرؤوا على قدس الرسالة فنسبوا إليه السهو مرة[6] والخطأ أخرى[7] وأن السحر أثر فيه حتى خيل إليه أنه يفعل الشيء ولم يفعله واستمر الحال إلى سنة[8] .

---

(١) الاحتجاج للطبرسي ص٢٤٧ طبع النجف في احتجاج الجواد على يحيى ابن أكثم .

(٢) معيد النعم ص٧٤ ، باب ٤٦ .

(٣) طبقات الشافية الكبرى ج١ ، ص١٩٧ ترجمة أحمد بن صالح المصري .

(٤) معجم الأدباء ج١٦ ، ص١٦٢ ترجمة عيسى بن داب .

(٥) شرح النهج لابن أبي الحديد ج١ ، ص٣٦٣ .

(٦) صحيح البخاري في باب ما جاء في سجود السهو ، وفي فتح الباري ج٣ ، ص٦٠ ذكر حديث ذي اليدين في سهو النبي ، وذكره القاضي عياض في الشفا باب عصمة أقواله .

(٧) شرح الشفا للخفاجي ج٤ ، ص٢٥٦ وعمدة القاري شرح البخاري ج١ ، ص٥٧٧ باب كتابة العلم ، وجلاء العينين للألوسي ص٢٦٨ .

(٨) المغني لابن قدامة الحنبلي ج٨ ، ص١٥٠ ، والبخاري كتاب الطب ، وإرشاد الساري شرح البخاري ج٨ ، ص٤٠٣ ، والزواجر لابن حجر ، ج٢ ، ص٨٢ .

Books.Rafed.net

إذاً فمن أين تبصر الأجيال المستقبلة الحوادث الصحيحة لتسير على ضوء هدى العظماء الذين لا يخضعون للدنية ويبذلون في تحصيل السعادة كل غال ورخيص .

ومن هنا أظلم الطريق ولم يهتد الباحث إلى الصحيح في نسب (الرباب) زوجة الحسين (ع) والقصة التي يحكيها أبو الفرج الأصفهاني في مقاتل الطالبيين بترجمة عبد الله بن الحسين عن مجاهد عن محمد بن السائب الكلبي لا تأخذ بنا إلى جهة نيرة ، فإن القارئ لا يشك في تسطيرها على غير الواقع لغاية الحط من مقام أمير المؤمنين الذي يقول كنت أتبع رسول الله اتباع الفصيل أثر أمّه يرفع لي كل يوم علماً من أخلاقه ويأمرني بالاقتداء به أرى نور الوحي وأشم ريح النبوة[1] .

فإن الأخلاق المحمدية التي تحلى بها صاحب الخلافة الكبرى تتنافى مع الأسطورة التي يقصها مجاهد وابن الكلبي مع أن علماء الرجال تكلموا في مجاهد ولم يقبل جملة منهم مروياته ومحمد بن هشام بن السائب الكلبي مجهول الحال عند علماء الشيعة ، ولم يعتمد عليه علماء السنة[2] فما يتحدثان عنه في قصة زواج الحسين منها يرمى به عرض الجدار ولم يخف افتعالها على من يقرأها برواية .

ونصها المسطور في مقاتل الطالبيين بترجمة عبد الله بن الحسين (ع) أن رجلاً دخل المسجد أيام خلافة عمر بن الخطاب فحياه بتحية الإسلام وسأله عمر عن اسمه ، فقال : أنا نصراني أنا امرؤ القيس بن عدي الكلبي ، وعرض عليه عمر الإسلام فأسلم وعقد له على من

---

(١) نهج البلاغة ج١ ص٤١٧ من خطبته الفاصعة .

(٢) راجع عنهما تهذيب التهذيب لابن حجر ، ج١٠ ، ص٤٢ ، و ج٩ ، ص١٧٨ .

Books.Rafed.net

أسلم بالشام من قضاعة ، ولما حمل اللواء وأدبر تبعه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ومعه ابناه حسن وحسين ، فقال له : أنا ابن عم رسول الله وصهره وهذان ابناي وقد رغبنا في صهرك فأنكحنا ، فقال : أنكحتك يا علي ابنتي المحياة وأنكحت الحسن اختها سلمى وأنكحت الحسين اختها الرباب .

وهذه القصة لا مساس لها بالواقع فإن الإمعان في شخصية أمير المؤمنين المتحلية بأخلاق الشريعة والعادات المألوفة يفيدنا الجزم بمنافاة إسراعه في المصاهرة من هذا النصراني الذي هو جديد عهد بالإسلام والمسلمين ، وكل أحد إذا راجع وجدانه يجد منه الإنكار على من يرتكب مثل هذا الذي لا يتفق مع الآداب العرفية ، حتى لو كان سوقة فضلاً عمن هو مؤهل للزعامة الكبرى وفرضه المولى سبحانه وتعالى خليفة على البشر عامة بعد النبوة ، وحاشا مثل أمير المؤمنين أن يكون مقهوراً لحكم الشهوة وتحفزه الغريزة الجنسية إلى ما تتنفر منه العامة والخاصة .

ومما يبعد القصة إهمالها اختيار رأي البنات في الرضا والعدم كما أنها لم تعين المهر مع أن الشريعة المقدسة قررت اختيار الزوجة في الرضا بالزوج ومعرفة الزوجة بالمهر لازم والالتزام بفضولية العقد ووقوفه على الإجازة ، وأن لها مهر أمثالها لو لم يسم الصداق إنما يتم مع فرض التنازل إلى التسليم بمسارعة أمير المؤمنين وخوف فوات هذا (الكنز) منه لو لم يبادر إلى مذاكرة الرجل في بناته .

على أنا معشر الإمامية نلتزم بأن الله تعالى مكن الإمام الحجة المؤهل للرياسة العامة من العلم الواسع لقطع شبه المعاندين أو لتركيز عقائد المتبعين للحق وعليه فأمير المؤمنين على يقين من أن بنات هذا الرجل لا يغلبه عليهن أحد لو انتظر الفرصة المناسبة .

Books.Rafed.net

لكن الأحقاد أبت إلا أن تشوه مقام (ولي الله) وتسجل على سيد الأوصياء (ع) ما تتقزز منه النفوس لعل أن يوجد في الأجيال من يتقبل هذه الأكذوبة فينحاز عنه ، وقد أصاب واضعها الغرض فقد آمن بها من لا خبرة له بمكانة (باب مدينة علم الرسول) المتحلي بأخلاقه الكريمة .

وهناك شيء آخر وهو بقاء الرباب حائلاً عند الحسين أكثر من عشرين سنة ، فإن التزويج منها كان في خلافة عمر بن الخطاب ولا أقل من التقدير بآخر أيامه فإنه قتل سنة ٢٥ وولادة سكينة على أقل التقدير في سنة ٤٧ فتكون يوم الطف ابنة ١٣ سنة والعادة تبعد بقاءها حائلاً هذه المدة الطويلة ، وإذا كان الزواج في أوائل خلافته تكون المسافة أبعد .

وعلى هذا فلا حجة واضحة تأخذ بنا إلى الإيمان بهذه الأسطورة مع أن ابن كثير في البداية ج٨ ، ص٢١٧ يسمى أباها (أنيف) ولم ينسبه إلى أحد ولم يذكر هذه الأسطورة .

وعلى كل حال فالرباب من خيرات النساء وأفضلهن جاء بها الحسين مع حرمه إلى الطف وحملت معهن إلى الكوفة والشام ورجعت مع الحرم إلى المدينة فأقامت فيها لا تهدأ ليلاً ولا نهاراً من البكاء على الحسين ولم تستظل تحت سقف حتى ماتت بعد قتله بسنة كمداً[١] .

وليس بصحيح ما قيل : إنها أقامت على قبر الحسين سنة[٢] تنوح الليل والنهار وذلك بعد الرجوع من الشام ومرورهم بكربلاء

---

(١) كامل ابن الأثير ج٤ ، ص٣٦ .
(٢) ابن الأثير .

Books.Rafed.net

فإن العقيلة زينب الكبرى هي المتكفلة بحياطة الحرم وحفظهم وكلاءتهم فلا تستطيع أن تفارقها بتلك البيداء المقفرة من دون عاطف ولا متحنن وهي امرأة عزلاء لا حامي لها ولا كفيل .

وكيف كان ففي تلك السنة التي عاشت فيها خطبها الأشراف فأبت ، وقالت : ما كنت لأتخذ حماً بعد رسول الله (ص)[1] .

وحق لها إذا امتنعت من التزويج فإنها لا ترى أي أحد يوازي سيد شباب أهل الجنة لتحظى به أو أن هناك من يباري من هو من النبي (ص) بمنزلة هارون من موسى (ع) لتفوز بمصاهرته :

من يباريهم وفي الشمس معنى ... مجهد متعب لمن باراها
قادة علمهم ورأي حجاهم ... مسمعاً كل حكمة منظراها
ورثوا من محمد سبق أولا ... ها وحازوا ما لم تحز أخراها
وهم الأعين الصحيحات تهدي ... كل عين مكفوفة عيناها
كم لهم ألسن عن الله تنبي ... هي أقلام حكمة قد براها
لم يكونوا للعرش إلا كنوزاً ... خافيات سبحان من أبداها[2]

على أن الرواية جاءت عن أمامة بنت زينب ربيبة رسول الله (ص) ، وكانت في عداد أزواج أمير المؤمنين عنه (ع) أن أزواج النبي (ص) والوصي (ع) لا يتزوجن بعده فلم تتزوج امرأة ولا أم ولد بعد أمير المؤمنين عملاً بهذا الحديث[3] .

---

(١) تذكرة الخواص ص١٥٠ ، وابن الأثير ج٤ ، ص٣٦ ، والأغاني ج١٤ ، ص١٥٨ .
(٢) من ألفية ملا كاظم الأزري .
(٣) المجلسي في البحار ج٩ ، ص٦٢١ عن قوت القلوب .

Books.Rafed.net

والرباب هذه هي التي طلبت رأس الحسين من ابن زياد فلما رأته أخذته ووضعته في حجرها وقبلته وقالت[1] :

واحسينا فلا نسيت حسيناً أقصدته أسنة الأعداء
غادروه بكربلاء صريعاً لا سقى الله جانبي كربلاء

وهذان البيتان رواهما ياقوت في معجم البلدان ج٧ ـ ص٢٢٩ لعاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل في رثاء الحسين ، وادعى أنها زوجته وكان عجز البيت الثاني في روايته :

(لا سقى الغيث بعده كربلاء)

ولانفراده بهذا عما عليه أهل النسب والتراجم والسيرة من عدم عدها في أزواج السبط الشهيد لا يؤبه به .

وكان من رثاء الرباب لسيد الشهداء (ع) :

إن الذي كان نوراً يستضاء به بكربلاء قتيل غير مدفون
سبط النبي جزاك الله صالحة عنا وجنبت خسران الموازين
قد كنت لي جبلاً صعباً ألوذ به وكنت تصحبنا بالرحم والدين
من لليتامى ومن للسائلين ومن يغني ويؤوي إليه كل مسكين
والله لا أبتغي صهراً بصهركم حتى أغيَّب بين الرمل والطين

ولما رجعت من الشام أقامت المأتم على الحسين وبكت النساء معها حتى جفت دموعهن :

---

(١) تذكرة الخواص ص١٤٧ ، وتاريخ القرماني ص٤ .

Books.Rafed.net

تنعى ليوث البأس من فتيانها وغيوثها إن عمت البأساء
تبكيهم بدم فقل بالمهجة الحرَّى تسيل العبرة الحمراء
ناحت فلما غضضت من صوتها بزفيرها أنفاسها الصعداء
حنت ولكن الحنين بكى وقد ناحت ولكن نوحها إيماء

ولما أعلمتها بعض جواريها بأن السويق يسيل الدمعة أمرت أن يصنع السويق ، وقالت إنما نريد أن نقوى على البكاء[١] .

ويقول ابن كثير توفيت الرباب بنت أنيف امرأة الحسين بن علي (ع) في سنة ٦٢ وكانت حاضرة أهل العراق إذ هم يعدون في السبت أو الجمعة على زوجها الحسين بن علي ابن بنت رسول الله[٢] .

ولدت الرباب من الحسين (ع) سكينة وعبد الله فأما عبد الله فقتل رضيعاً في حجر أبيه يوم الطف وذلك لما قتل أهل بيته وصحبه وبقي وحده استسلم للقضاء الإلٰهي بذبحه مظلوماً ممنوعاً من الورود .

وجاء إلى عياله يودعهم ويأمرهم بلبس الأزر والصبر على ما يحل بهم من البلاء وعرفهم بأن الله تعالى يجعل عاقبة أمرهم إلى خير ويعذب عدوهم بأنواع العذاب .

ثم دعا بولده الرضيع يودعه فأتته زينب بابنه عبد الله فأجلسه في حجره يودعه ويقبله[٣] ويقول :

بعداً لهؤلاء القوم إذا كان جدك المصطفى خصمهم[٤] .

---

(١) البحار للمجلسي ج١٠ ، ص٢٣٥ عن الكافي .
(٢) البداية ج٨ ، ص٢١٧ .
(٣) اللهوف ص٦٥ .
(٤) البحار ج١٠ ، ص١٠٣ .

Books.Rafed.net

ثم أتى به نحو القوم يطلب له الماء فرماه حرملة بسهم وذبحه فتلقى الحسين الدم بكفه ورمى به نحو السماء فلم يسقط منه قطرة[١] .

وقال هون ما نزل بي أنه بعين الله[٢] اللهم لا يكون أهون عليك من فصيل إلٰهي إن كنت حبست عنا النصر فاجعله لما هو خير منه وانتقم لنا من الظالمين[٣] واجعل ما حل بنا في العاجل ذخيرة لنا في الآجل[٤] اللهم أنت الشاهد على قوم قتلوا أشبه الناس برسولك محمد (ص)[٥] وسمع (ع) قائلاً يقول : دعه يا حسين فإن له مرضعاً في الجنة[٦] .

ثم نزل عن فرسه وحفر له بجفن سيفه ودفنه مرملاً بدمه[٧] .

ويقال إنه وضعه مع قتلى أهل بيته[٨] .

وأما سكينة فقد ذكر المؤرخون أنه لقب لها من أمها الرباب[٩]

---

(١) حديث الإمام الباقر (ع) وزيارة الناحية التي يقوم فيها حجة آل محمد (ع) : السلام على عبد الله الرضيع المرمي الصريع المصعد بدمه إلى السما المذبوح في حجر أبيه ، لعن الله راميه حرملة بن كاهل الأسدي وذويه .
(٢) ابن شهرآشوب ج٢ ـ ص٢٢٢ .
(٣) ابن نما ص ٣٦ .
(٤) تظلم الزهراء ص ١٢٢ .
(٥) المنتخب .
(٦) تذكرة الخواص ص١٤٤ ، والقمقام لميرزا فرهاد ص٣٨٥ .
(٧) احتجاج الطبرسي ص١٦٣ ط النجف .
(٨) إرشاد المفيد وابن نما ص ٣٧ .
(٩) ابن خلكان في الوفيات بترجمتها وشذرات الذهب ج١ ، ص١٥٤ ، ونور الأبصار ص١٥٧ .

Books.Rafed.net

وكأنه لسكونها وهدوئها وعليه فالمناسب فتح السين المهملة وكسر الكاف التي بعدها لا كما يجري على الألسن من ضم السين وفتح الكاف وهذا الرأي نسبه الصبان إلى المشهور فإنه قال :

المشهور على الألسنة في اسمها أنه مكبر بفتح السين وكسر الكاف[1] .

والمحكي عن شرح أسماء رجال المشكاة أنه مصغَّر بضم السين وفتح الكاف ومثله في القاموس .

وأما اسمها فالذي اختاره ابن تغري بردي أنه آمنة[2] ورواية أبي إسحاق المالكي تؤكده فإن فيها قول سكينة :

إنكم سميتموني باسم جدتي أم رسول الله (ص) آمنة بنت وهب .

ويحكي أبو الفرج القول بأنه أمينة وأميمة .

ولم يتضح لنا سنة ولادتها ولا مقدار عمرها وإن أمكننا القول بأنها قاربت السبعين بعد ملاحظة سنة وفاتها وكونها يوم الطف بالغة مبلغ النساء ولا أقل من التقدير بالعشرة . وذكرنا ولادتها سنة ٤٧ .

كما صح لنا ولادتها بالمدينة ووفاتها فيها[3] يوم الخميس

---

(١) اسعاف الراغبين بهامش نور الأبصار ص٢٠٢ .
(٢) النجوم الزاهرة ج١ ، ص٢٧٦ .
(٣) تهذيب الأسماء للنووي ج١ ، ص١٦٣ ومعاوف ابن قتيبة وتذكرة الخواص وابن خلكان بترجمتها والكواكب الدرية للمناوي ج١ ص٥٨ .

Books.Rafed.net

لخمس خلون من ربيع الأول[1] في سنة ١١٧[2] .

وقيل : توفيت بمكة في طريق العمرة ، كما قيل رجعت إلى الشام وقبرها هنالك[3] ويذكر يوسف بن الحسن بن عبد الهادي المتوفى سنة ٩٠٩ أن في دمشق مسجداً يعرف بمسجد سكينة قرب قبر بلال[4] ، ويصفه المعلق على الكتاب بأنه يقع في مقبرة باب الصغير إلى جانب الضريحين ضريح السيدة أم كلثوم الصغرى بنت علي بن أبي طالب وضريح السيدة سكينة ، ويذهب الشعراني إلى وفاتها بمراغة من أرض مصر وقبرها بالقرب من السيدة نفيسة[5] .

وحكى ياقوت في معجم البلدان ج٦ ـ ص٢٦ أن أهل طبرية يزعمون أن بظاهرها قبر سكينة بنت الحسين . قال : والحق أنه بالمدينة .

وفي نور الأبصار للشبلنجي ص١٦٠ توفيت بمكة .

وحيث إن أكثر المؤرخين على أن قبرها بالمدينة فهو بالصحة أجدر ، وقد حكى الصبان عن منن الشعراني إنكار قبر سكينة بنت الحسين بمصر زاعماً أن ذلك قبر سكينة بنت علي بن أبي طالب (ع) .

---

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان بترجمتها والكواكب الدرية للمناوي ج١ ، ص٥٨ ، وتهذيب الأسماء للنووي ج١ ، ص١٦٣ بترجمة الحسين ، ونور الأبصار للشبلنجي ص١٦٠ .

(٢) تاريخ الطبري ج٨ ، ص٢٢٨ ، وابن الأثير ج٥ ، ص٧١ ، وابن خلكان في الوفيات ، والنووي في تهذيب الأسماء ج١ ، ص١٦٣ ، وابن العماد في شذرات الذهب ج١ ، ص١٥٤ ، واليافعي في مرآة الجنان .

(٣) تهذيب الأسماء للنووي ج١ ، ص١٦٣ .

(٤) ثمار المقاصد في ذكر المساجد ص١٠٦ .

(٥) لواقح الأنوار ج١ ، ص٢٣ .

Books.Rafed.net

وإذا عرفت أن أهل النسب والتراجم لم يذكروا في أولاد أمير المؤمنين سكينة تعرف بطلان تلك النسبة .

وقد عاصرت من المعصومين أباها الشهيد وأخاها الإمام زين العابدين والإمام الباقر وأدركت أيام الصادق (ع) .

وكانت أيام أبيها بالغة مبلغ النساء كما يشهد به قول الحسين للحسن المثنى يوم جاء يخطب منه ، فقال : اختر إحدى ابنتي هاتين فاطمة وسكينة وكانت فاطمة أكبر منها .

ثم قال له الحسين (ع) : اخترت لك فاطمة فهي أكثرها شبهاً بأمي فاطمة بنت رسول الله (ص) أما في الدين فتقوم الليل كله وتصوم النهار وفي الجمال تشبه الحور العين .

وأما سكينة فغالب عليها الاستغراق مع الله لا تصلح لرجل ولو لم تكن بالسن القابل لمقارنة الأزواج لاعتذر به الإمام عليه السلام وقد عرفت ما تشير إليه كلمته الغالية في حق ابنته الكريمة .

كما عرفت كلمات المؤرخين الناصة على تزويج سكينة من ابن عمها عبد الله الأكبر ابن الإمام الحسن ابن أمير المؤمنين المقتول يوم الطف مبارزة وهو أخو القاسم لأبيه وأمه رملة ، فكان أبا عذرتها كما في المحبر لابن حبيب ص٤٣٨ .

ولا يفوت القارئ ما اتفق عليه المؤرخون وأهل النسب والتراجم من أنه لم يكن للحسين من البنات غير فاطمة وسكينة وهما المتزوجتان بابني عمهما الحسن السبط (ع) وأما غيرهما المذكور فعلى ذمة التاريخ .

ومن هنا ينكشف عدم صحة القول بتزويج القاسم من سكينة

Books.Rafed.net

لعدم الشاهد له ، ولأن القاسم يومئذ لم يدرك الحلم كما نص عليه أهل المقاتل .

كما لا يفوتنا ما اختصها به أبوها الشهيد بمزيد العناية وعطف عليها عطفاً ينم عن منزلتها الكبرى عنده ، وأنه على شرف النسبة قد تحلت بنفسية فاضلة وازدانت بخيم كريم وفضيلة رابية ، ومن ذلك قوله (ع) مسلياً لها لما رآها منحازة عن النساء تبكي ساعة الوداع يوم الطف ووصفها بخيرة النساء فقال :

سيطول بعدي يا سكينة فاعلمي منك البكاء إذا الحمام دهاني
لا تحرقي قلبي بدمعك حسرة ما دام مني الروح في جثماني
فإذا قتلت فأنت أولى بالذي تأتينه يا خيرة النسوان

والجمع يقتضي عموم التفضيل على من سواها إلا من أخرجها الدليل كالصديقة والعقيلة وأضرابهما .

ثم إنه (ع) حملها الوصية إلى شيعته بالبكاء عليه ، وذكر عطشه عند شربهم الماء .

قالت : لما مر القوم بالنسوة على القتلى رميت بنفسي على جسد أبي واعتنقته فسمعت صوتاً يخرج من منحره المقدس[1] :

شيعتي ما إن شربتم عذب ماء فاذكروني
أو سمعتم بغريب أو شهيد فاندبوني

قد يستغرب القارئ هذا الكلام من جسد فارقته الحياة كما

---

(١) المصباح ص٣٧٦ طبع الهند للشيخ إبراهيم الكفعمي من علماء القرن التاسع .

Books.Rafed.net

يتباعد عن الإذعان بكلام رأس الحسين (ع) في شوارع الكوفة والشام وفي مجلس يزيد لما أمر بقتل رسول ملك الروم لانكاره فعلته التي لم يرتكبها حتى من لم ينتحل دين الإسلام فنطق الرأس بصوت جهوري (لا حول ولا قوة إلا بالله) ولكن ما أسرع أن يتراجع إلى التصديق به حينما يستضيء بتفكيره إلى فعل القدرة الإلٰهية بالممكنات حسبما تستدعيه المصالح ، كما كانت (الشجرة) في الوادي المقدس تلقي التعاليم الإلٰهية على الكليم موسى بن عمران وأخبرت الذراع المسمومة خاتم الأنبياء (ص) يوم خيبر فامتنع النبي (ص) ومن معه من أكلها[1] ، إذاً فلا غرابة في تمكين الإرادة الربانية ، رأس الحسين (ع) المنحور طاعة لله تعالى من قراءة القرآن لأنه أبلغ في توطيد أسس النهضة الكريمة ، وفيه تركيز العقائد على أحقية دعوته وشهادته ووخامة عاقبة من مد إليه يد العدوان .

ولئن يتحدث البخاري ومسلم وأحمد عن أبي هريرة في أن الله تعالى أودع قوة الحركة في الحجر الصلد فذهب بثياب نبيه موسى بن عمران لغاية تعريف الإسرائيليين نزاهة نبيه من العاهة ويتقبلها شرح البخاري ومسلم من دون تعقيب[2] وإن كانت المؤاخذة عليهم واضحة فالإيمان بالمتواتر من الآثار الحاكية كلام رأس الحسين لتعريف أولئك المغمورين بالأطماع ، ومن يأتي من الأجيال بالتواء

---

(١) في شرح الزرقاني المالكي على المواهب اللدنية لابن حجر ج٢ ، ص٢٤٢ غزوة خيبر أن هذا الإخبار من الذراع هل هو بكلام يخلق فيه أو صوت يحدثه الله كما في الشجر والحجر بلا حياة أو مع الحياة قولان في الشفا .

(٢) صحيح البخاري كتاب الغسل باب من اغتسل عرياناً ، وصحيح مسلم باب فضائل موسى ، ومسند أحمد ج٢ ، ص٣١٥ .

Books.Rafed.net

الأمراء المتغلبين على الخلافة عن صراط العدل وترددهم في الضلال (أجدر وأولى) ، لأن نهضة سيد الشهداء إنما هي لإحياء الدين الذي لاقى المتاعب في تشييده جده المنقذ الأكبر ، وقد أخبر النبي (ص) عن هذه النهضة بقوله : (حسين مني وأنا من حسين)[1] فإنه لم يقصد بهذا التنزيل التعريف بأن الحسين بضعة منه لما فيه من الركاكة التي يأباها كلام سيد البلغاء ، لأن كل ولد بضعة من أبيه ، وإنما أراد التنبيه بأن نهضة الحسين أثبتت توطيد أسس الإسلام وكسحت أشواك الباطل عن صراط شريعة العدل ، فالنبي (ص) فاتح الدعوة ، والحسين ناهض لتركيزها وتثبيت دعامتها ، فإيداع قوة الكلام في الرأس المقدس أو منحره الأطهر أولى من الحجر والشجرة ، وذراع الشاة المسمومة .

وفي مثل هذه الكرامات التي تتحدث بها الشيعة عن أئمتهم المجعولين من الله تعالى خلفاء على الأمة بعد انقضاء الرسالة اعتماداً على أحاديث صحت لديهم يتقزز منها غيرهم ويتحامل عليهم باسم البدعة والغلو ولكنه يثبت لعلمائهم أمثالها غافلاً عن ورود نفس الأشكال عليه .

فيقول اليافعي الحنبلي : لما ورد أبو إسحاق الشيرازي بلاد العجم أقبل الناس عليه يتبركون بثيابه ، ويأخذون التراب من تحت

---

(١) رواه من علماء الإمامية ابن قولويه المتوفى سنة ٣٦٩ في كامل الزيارات ص٥٣ ، ومن علماء السنة الترمذي في سننه كما في شرحه لابن العربي ج١٣ ، ص١٩٥ مناقب الحسين ، والحاكم في المستدرك ج٣ ص٣١٤ ، وابن حجر في مجمع الزوائد ج٩ ، ص١٨١ ، والهندي في كنز العمال ج٧ ، ص١٠٧ والصفوري في نزهة المجالس ص٤٧٨ مناقب الحسنين .

Books.Rafed.net

نعله للاستشفاء[1] ويقول في سنة ٧٢٥ زادت دجلة حتى خربت مقبرة أحمد بن حنبل وصار الماء في دهليز البيت الذي فيه قبره علو ذراع ووقف بإذن الله تعالى عند باب الحجرة[2] . ويقول السبكي الشافعي : لما أمر الواثق العباسي بقطع رأس أحمد بن نصر الخزاعي في مسألة خلق القرآن كان الرأس يتكلم بالقرآن إلى أن أنزل الجسد ودفن معه[3] ، ويقول : سافر إسماعيل الحضرمي مع خادمه وأشرفت الشمس على الغروب ، فقال لخادمه : قل لها فلتقف حتى نصل المنزل ونصلي العصر ، فأمرها الخادم بالوقوف فوقفت الشمس حتى وصلوا المنزل وصلوا ولم تغرب ، فقال لخادمه : أما تطلق هذا المحبوس فيأمرها الخادم بالغروب ، فتغيب ويظلم الأفق ثم يقول هذا الخبر من المستفيض[4] وما أدري ولا المنجم يدري ، لماذا لم يصل في الطريق وإن لم يكن عنده ماء فالتيمم أحد الطهورين .

ويحدث شيخ أحمد حجازي الفشني أن محمد بن إسماعيل البخاري صاحب الصحيح لما دفن أقبل الناس يأخذون التراب من القبر للتبرك حتى صارت حفرة عظيمة فوضع الخشبة على القبر فأخذ الناس التراب من حوله[5] .

نحن لا نضايقهم في أمثال هذا مما لو سجلناه لخرجنا عن وضع الرسالة ولا ننكر عليهم اعتقادهم بها ولكنا نقول لماذا يرمون

---

(١) مرآة الجنان ج٣ ص١١٣ حوادث سنة ٤٧٦ .
(٢) مرآة الجنان ج٤ ، ص٢٧٣ .
(٣) طبقات الشافعية الكبرى ج١ ، ص٢١٥ .
(٤) طبقات الشافعية ج٥ ، ص٥١ والفتاوى الحديثية لابن حجر ص٢٢٦ .
(٥) تحفة الاخوان ص١١ .

Books.Rafed.net

الشيعة بالكذب والبدعة والخيانة ، ورواية المناكير إذا رأوهم يؤمنون بما تفيده الآثار المتواترة في فضائل أهل البيت ويتحدثون عن كلام رأس الحسين والاستشفاء بتربته ووقوف الماء عند قبره لما أمر المتوكل العباس بحرث القبر وإرسال الماء عليه زعماً منه أنه يطفئ نور الله «وليجتهدن أئمة الكفر وأشياع الضلال في محوه وتطميسه فلا يزداد أثره إلا علواً» على حد تعبير رسول الله (ص)[1] .

على أن البدعة الممقوت صاحبها ولا تقال عثرتها فيما إذا أدخل في الدين ما ليس منه لأنه تهجم على الشريعة وتحكم على التكاليف الإلـٰهية كما أشار إليه صاحب الدعوة .

(كل بدعة ضلالة)[2] وأما الاعتقاد بشيء عن أثر وارد فيه فليس من البدعة ولا يرمى صاحبه بالكذب والغلو .

---

(١) كامل الزيارات ص٢٦١ .

(٢) نيل الأوطار للشوكاني ج٢ ، ص٦٧ باب الصلاة في الثوب المغصوب والفتاوى الحديثية لابن حجر ص٢٠٠ .

Books.Rafed.net

Books.Rafed.net

حديثها في فضل الشيعة

روى محمد جعفر بن أحمد بن علي القمي نزيل الري في كتاب المسلسلات ص١٠٨ بسنده المفصل إلى بكير بن أحنف وعنه يحدث العلامة المجلسي في البحار ج١٥ ـ ص١٢٢ في باب فضائل الشيعة .

قال : حدثتني فاطمة بنت الإمام علي بن موسى الرضا قالت : حدثتني فاطمة وزينب وأم كلثوم بنات موسى بن جعفر قلن : حدثتنا فاطمة بنت جعفر بن محمد قالت : حدثتني فاطمة بنت محمد بن علي قالت : حدثتني فاطمة بنت علي بن الحسين قالت : حدثتني فاطمة وسكينة ابنتا الحسين بن علي عن أم كلثوم بنت علي عن فاطمة بنت رسول الله (ص) قالت : سمعت رسول الله (ص) يقول :

«لما أسري بي إلى السماء دخلت الجنة فإذا أنا بقصر من درة بيضاء مجوفة وعليه باب مكلل بالدر والياقوت وعلى الباب ستر فرفعت رأسي فإذا مكتوب :

لا إله إلا الله محمد رسول الله علي ولي القوم .

ومكتوب على الستر :

Books.Rafed.net

بخ بخ مثل شيعة عليّ .

فدخلته فإذا أنا بقصر من عقيق مجوف وعليه باب من فضة فرفعت رأسي وإذا مكتوب على الباب .

محمد رسول الله علي وصي المصطفى .

وعلى الستر مكتوب :

بشر شيعة علي بطيب المولد .

فدخلته ورأيت قصراً من زبرجد لم أر أحسن منه وعليه باب من ياقوتة حمراء مكللة باللؤلؤ وعلى الباب ستر فرفعت الستر وإذا مكتوب عليه :

شيعة علي هم الفائزون .

فقلت لجبرائيل : «لمن هذا»؟ قال : يا محمد إنه لابن عمك ووصيك علي بن أبي طالب يحشر الناس كلهم يوم القيامة حفاة عراة إلا شيعة علي ويدعى الناس بأسماء أمهاتهم ما خلا شيعة علي فإنهم يدعون بأسماء آبائهم لأنهم أحبوا علياً فطاب مولدهم .

وقد ورد هذا المضمون في أحاديث أهل البيت متواتراً كما جاء عنهم :

إن شيعة علي وأبنائه المعصومين يحشرون آمنة روعاتهم مستورة عوراتهم فيود الخلائق يومئذ أنهم كانوا فاطميين .

والمراد من ستر العورة إما بالنور الساطع منهم فيغشي الأبصار عن النظر إليهم ، كما يرشد إليه في معالم الزلفى ص١٤٢ من حديث فاطمة (ع) قالت لأبيها (ص) :

Books.Rafed.net

كيف يكون الناس يوم القيامة؟

فقال النبي (ص) : «إنهم يشغلون بأنفسهم فلا ينظر أحد إلى أحد ولا والد إلى ولده ولا ولد إلى أمه» .

فقالت (ع) : هل يكون أكفان إذا خرجوا من قبورهم ، قال (ص) : «يا فاطمة تبلى الأكفان وتبقى الأبدان تستر عورة المؤمن وتبدو عورة الكافر» .

قالت : يا أبة ما يستر عورة المؤمن؟

فقال (ص) : «نور يتلألأ لا يبصرون أجسادهم من النور» .

وهناك حديث آخر رواه في معالم الزلفى عن الكليني والشيخ الطوسي عن أبي خديجة عن الصادق (ع) : أن الستر يكون بالأكفان فكان (ع) يقول :

تأنقوا في الأكفان فإنكم تبعثون بها .

وفي احتجاج الطبرسي قال الزنديق للصادق :

كيف يحشر الناس بالأكفان وقد بليت؟

فقال (ع) :

إن الذي أحيى أبدانهم وقد بليت يجدد أكفانهم ، ومن مات بلا كفن ستر الله عورته .

Books.Rafed.net

Books.Rafed.net

رثاؤها الحسين (ع)

في أمالي الزجاج (ص١٠٩ ط مصر ثانية)، مما رثت به سكينة أباها الشهيد قولها :

لا تعذليه فهم قاطع طرقه ... فعينه بدموع ذرف غدقه
إن الحسين غداة الطف يرشقه ... ريب المنون فما إن يخطئ الحدقه
بكفِّ شرِّ عباد الله كلهم ... نسل البغايا وجيش المرَّق الفسقه
أأمة السوء هاتوا ما احتجاجكم ... غداً وجلكم بالسيف قد صفقه
الويل حلَّ بكم إلا بمن لحقه ... صيرتموه لأرماح العدى درقه
يا عين فاحتفلي طول الحياة دماً ... لا تبكي ولداً ولا أهلاً ولا رفقه
لكن على ابن رسول الله فانسكبي ... قيحاً ودماً وفي إثريهما العلقه

هذا آخر ما ساغ لنا إثباته في هذه الرسالة والحمد لله رب العالمين وشكراً له على ما قدره وأمضاه في ذرية نبيه الأقدس وعترته الأكرمين ونعم الحكم الله تعالى والزعيم محمد (ص) والموعد القيامة هناك يخسر المبطلون ويعرف التالون غب ما أسس الأولون ولعنة الله على أعدائهم أجمعين .

Books.Rafed.net

Books.Rafed.net

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة الناشر	٥
المدخل : ذرية الرسول	٩
الخلاصة	٢٩
سكينة مع الله تعالى	٤٣
الوضاعون	٤٩
أول من وضع الحديث	٥٧
أبو الفرج	٥٩
نظرة الدكتور زكي مبارك في الأغاني	٦٥
رجال الأغاني	٧١
سكينة من ذوي القربى	٧٧
سكينة إلى كربلاء	٧٩
الغناء تحت الحكم	٨٥
الشعراء	٩١
بيت الضيافة	٩٥
شعر عمر بن أبي ربيعة	١٠١
سكينة بنت الزبير	١٠٣
حديث الصورين	١٠٥

Books.Rafed.net

حديث الأزواج ـــــــ